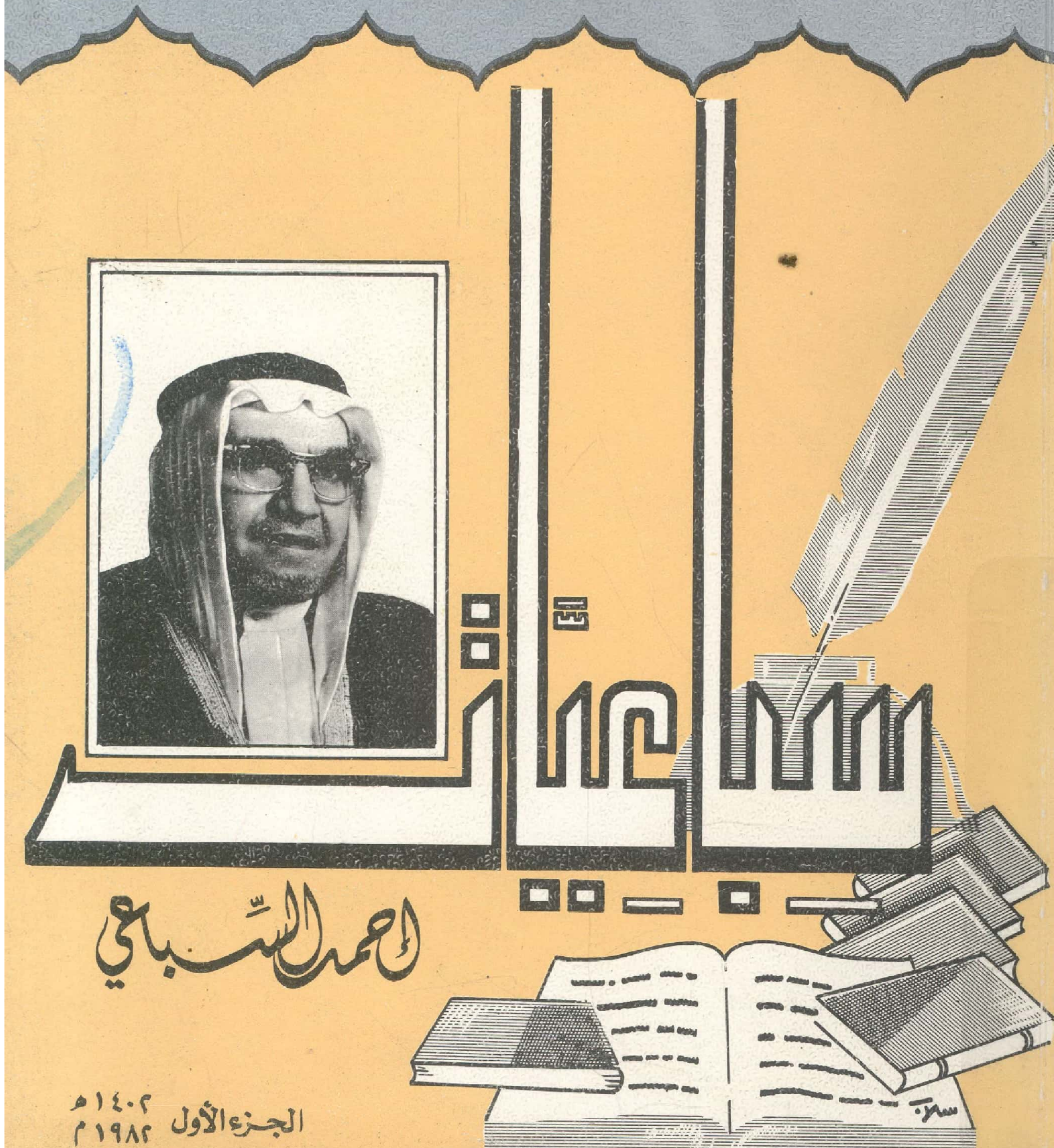
المكتبة السعودية

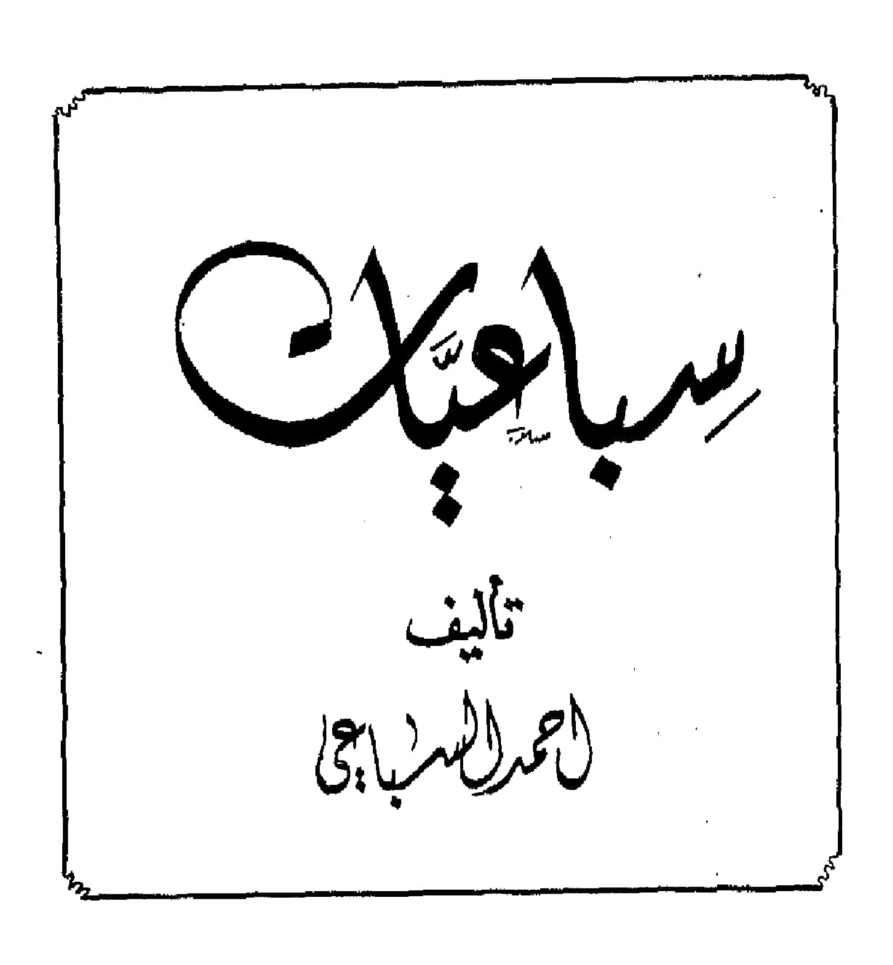
سلسلة تصدر عن جمعية الثقافة والفنون وتتناول موضوعات ثقافية متنوعة ٦



الجزء الأول ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

هذا الكتاب هدية من أحد الأخوة الأعزاء لكل طالب علم


بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

مقـــــدمة

إن من أهم ماامتازت به الصحافة السعودية أنه منذ نشأتها المبكرة قد حظيت بأقلام أدبية رفيعة المستوى .

فقد عملت هذه الأقلام على رفع مستواها وساهمت بكل ماتملك من قوة على إخراجها الإخراج الجيد .. الأمر الذي يدل على الروح الأدبية العالية التي كان يمضي بها هؤلاء . ولعل أحد البراهين على ذلك هو هذا الكتاب الذى تشرفت بجمعه وتقديمه إلى القارىء السعودي والعربي على حد سواء ليستطيعوا أن يروا الإجادة التي تجلت واضحة فيما قدموا من أعمال .

فهذا الكتاب هو في الحقيقة **مجموعة من المقــالات القديمة التي جمعتها من بين المجلات والصحف ، وهو لأحد كبار رجال الصحافة والأدب في المملكة العربية السعودية** بل هو شيخ الصحافة في هذا البلد المعطاء ، فمنذ ظهور الصحافة فيه .. والأستاذ السباعي يعطي ويقدم .. ويعمل من أجل خدمة مجتمعه والنهوض به ولا يألو في ذلك جهداً

لقد حظيت أعمال السباعى الأدبية بكل تشجيع من المسئولين في بلده ، وعلى رأسهم جلالة المغفور له الملك « **فيصل** » بن عبد العزيز - رحمه الله والذي أعجب أشد الإعجاب .. بكتاب « **دعونا نمش** » الذى كتبه شيخنا في مرحلة مبكرة من حياته .

فكان ذلك التشجيع وتلك الاستجابة الخيرة دافعاً لمزيد من العمل والعطاء والإبداع .

وأحمد السباعى ، بدون شك ، غني عن التعريف فعبارته تمتاز **بمتانة التركيب** ، وأسلوبه **بجزالة اللفظ وسلاسة التعبير** ، ومعانيه **بقوة التصوير ووضوح المغزى .**

وهو إلى جانب ذلك قد بز أقرانه الأدباء بخصائص وميزات أدبية سبق بها جيله .. إنها **أوليات** انفرد بها في مجال الأدب السعودي ، أوليات استحق بها عن جدارة أن يلقب « **بشيخ الصحافة السعودية** » رغم ماعرف عنه من تحفظه لهذا اللقب .

فهو :

أولا : أول من ناقش موضوع المرأة في الصحافة السعودية ودعا إلى ضرورة تعليمها ، ونجد ذلك في مقال له

نشر في كتاب « **وحي الصحراء** » في الخمسينات ، أردفه بمذكرات كان ينشرها في جريدة « **صوت الحجاز** » وتحت اسم مستعار « **فتاة الحجاز** » .. ويتلقى عليها روداً قاسية ممن أخذوا عليه موقفه الشاذ في بيئته .

ثانياً : وهو أول من وضع للمدارس المحلية مؤلفاً باسم « **سلم القراءة العربية** » وكانت المدارس يومها تقرأ في كتب مصرية تتحدث عن الأهرام والأزهر ، فقررت مديرية المعـــارف يومها رسمياً تدريس « سلم القراءة العربية » مكانها وهي سلسلة في ستة أجزاء .

ثالثاً : وهو أول من كتب سلسلة مقالات بعنوان : « **مدارسنا** » في جريدة صوت الحجاز وناقش فيها الكثير من المشاكل التربوية ، فكان أول من طالب بالعطلة المدرسية في الوقت الذى كانت فيه المدارس بلا عطلة سوى عطلة الحج والعيد .

رابعاً : وهو أول من أسس مسرحاً في المملكة العربية السعودية وظفر بالموافقة على إنشائه .

خامساً: وهو أول من أحال قصة المطوفين وموضوع السماسرة إلى الصحف .. وكتب فيها طويلا ..

سادساً: وهو أول من كتب فصولا من التاريخ في أسلوب قصصي جميل فكانت من روائع الأدب الرفيع .

هذا أحمد السباعي .. وهذه قصة كتاب « **سباعيات** » أقدمها للقارىء .. سائلا الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً لكل مافيه خير هذا البلد .. وهو ولي التوفيق .

عدنان محمد فائز الحارثي

لبيــــك ..

فيم كل هذا ؟ ؟
فيم هذه الحشود يموج بها البحر ؟ ؟
فيم هذه الطائرات يزخر بها الجو ؟
فيم هذه الناقلات تسيل بها الوديان ؟
فيم كل هذا ؟؟
انه نداؤك يارب .. فلبيك ..
لبيك .. اللهم لبيك ..
تركوا نعيمهم وجاؤا لموعدك شعثا ! !
خلعوا زينتهم .. وهرعوا إلى بابك عريا ! !
سلخوا راحتهم .. واقبلوا على اعتابك غبرا ! !
فيم كل هذا ؟؟
انه نداؤك يارب .. فلبيك .
لبيك .. اللهم لبيك
ليت توفيقك يشملنا فنعرف كل الطرق اليك ..
ليتنا ننفر إلى كل من يتجهمنا في مثل هذا الزحام ! !
ليتنا نواجه كل من يغتصبنا فى مثل هذا الحشد ! !
ليتنا نثبت أمام كل من يستضعفنا بمثل هذا الزحف .
ليتنا نهتف في كل ميدان تدعونا إليه : لبيك ..

لبيك .. اللهم لبيك ..
أمرتنا أن نعيش متساندين .. فنسينا ما أمرت ! !
وكلفتنا أن نظل متوادين .. فضللنا عما هيأت ! !
وهيأتنا لنظل أسياداً .. فأضعنا ما كلفت ! !
إغفر اللهم حوبنا فقد جئناك مذنبين .
وبصرنا بأمورنا فقد أقبلنا تائبين .

وأرشدنا إلى كل ميادين الكرامة .. لنهفو متسابقين ..
لبيك .. لبيك .. اللهم لبيك .

رجماً للشيطان

كانت فيما يبدو من لهجتها حاجّة مثقفة وفي ثقافتها كثير من أفكار العصر ..

استوقفتني من أعوام مضت على كثب من جمرة العقبة وقد رأتني أفرغ من أدائها وقالت :

ـ أمن مكة ؟؟

ـ نعم ..

ـ أريد أن أفهم .. أصحيح ما يقال أننا لو كشفنا جدار الحمرة لوجدنا الشيطان مغلولاً في سلاسله داخلها ؟؟

وتطلعت فإذا وجه يلمع رواء الصبا فى تقاسيمه وتنطق معاني التحدي فى ملامحه .

فقلت هل زرت بلداً أوروبياً .. ؟؟

قالت درست فى باريس . وعشت فيها سنوات من عمرى .

ـ هل زرت قبر الجندي المجهول ؟؟

ـ زرته أول وصولي إلى باريس !! .. وقدمت إليه صفحة من رياحين .

– وما تعنين بهذا ؟؟

– أكرمه طبعاً .. أو قل أكرم فيه الجندية كما يفعل كل الناس .

– وهل تظنين أنك لو كشف لك عن قبره ستجدين جثمانه ماثلا أمامك .. ؟؟

– أبداً فالمسألة رمز لا أكثر ولا أقل .. أريد بها تكريم الجندية في ذلك الشاخص .

– وما يمنعك اذن أن تعللي هذا التعليل بالنسبة لهذا الشاخص ..

لقد روي أن إبراهيم عليه السلام رأى الشيطان في هذه الجهات التي نرجمها فرماه بحجر فنحن نتأسى ما فعل وقد فعله النبي (ص) قبلنا ونحن نقتدي بما فعل كأمر تعبدي .

ونحن مع هذا نرمي هذا الشاخص أو ذاك كرمز لتحقير من نلعنه .. نفعل هذا قبل أن تعرف أوربا هذه المعاني العميقة .. فهل تستبعدين أن تكون الفكرة عندهم منقولة عنا وأنت تعرفين أنهم رضعوا لبان حضارتهم من ثدي أمتنا قبل أن يعرفوا معنى الحضارة .

وشيء آخر أرجو أن لا تنسينه فقد نقل عن العرب في جاهليتهم أن المرأة كانت تحتفر في بيتها قبراً رمزياً لابنها

القتيل بعيداً عنها .. وتظل تبكيه وهي بما تفعل لا أكثر من رمز تحيي فيه ذكرى ولدها وتطفىء جذوة لوعتها بما تسح عليه من دمعها .

قالت وهى تشد على يديَّ فى حرارة : أشهد الله اني قنعت .. وإني منذ اليوم سأقدر جميع المعاني السامية التي تلوح فى أفق الإسلام .

إلى معالي وزير الصحة

نشرت فى جريدة الندوة عام ١٣٨٧

يا للحياة !

إنه مسكين .. لا تكاد تقع عليه العين حتى تدرك أن حركاته تستدر الدمع وتتفطر لها أقسى القلوب ألما وأسى .

ما أن رآني أدخل غرفة التحليل فى مستشفى أجياد حتى تحامل على نفسه وأهاب بي : الرحمة يا أصحاب الصحف .

ونظرت فاذا شاب لا يتجاوز عقده الثالث يترنح أمامي في قامة تفككت أوصالها وماع جذعها حتى لا يقوى على الوقوف إلا مستنداً على حائط أو باب ولا تخطو قدمه إلا متكئاً على كرسي أو مكتب ،أما أطرافه فلا تنفك ترتعش في شكل حزين ، أما لسانه فيلوك الكلمات ولا يكاد يفصحها .

قلت : مهيم . قال : أهذا أنت تراني انهكني المرض من سنوات وسنوات وقد قيل أنه لا علاج لي فيأي بلد من الشرق وأنه لابد لي من السفر إلى أوروبا أو أميركا لعلهم ينقذون شبابي .

وأنا رجل فقير الحال متزوج ولي أطفال لا أكاد أجد ما اطعمهم فمن أين لي ما انفقه على علاجي في أوروبا .

وأنا كما ترى موظف تابع لوزارة الصحة وقد تقدمت إليها لتسعفني بالعلاج في أوروبا أو أميركا فحسنات حكومتي ومليكي من هذا النوع لا يحصيها العدد وعطف وزير الصحة لا ينكره أحد ولكن سوء حظي تركني إلى ما ترى .

قلت وما يمنعك أن تتقدم بطلب رسمي إلى وزارة الصحة ؟

قال لقد فعلت وفعلت ومضت أوراقي إلى الهيئة الطبية العليا في الرياض فقررت ارسالي للعلاج في القاهرة فسافرت إليها في عام ٨٠ فلم يفدني علاج القاهرة فاستأنفت الاسترحام وانتهت الأوراق إلى الهيئة الطبية العليا فقررت ارسالي إلى بيروت فسافرت إليها ـ عام ٨٤ ولكني عدت منها كما ذهبت .

إن علاجي كما فهمت لا ينفع في غير مستشفيات أوربا وأنا كما تراني فقير الحال فاذا لم تدركني شفقة الوزير فسأبقى معذبا طول حياتي .

قال هذا وهو يبسط أمامي صورا من التقارير الطبية التي يحتفظ بها ونظرت فاذا فيها : « محمد نور عبد الله » هندي

مصاب بالتباس ظهري متقدم نحو الشلل العام .

إنه يستغيث بمثلي ولست إلا صحفيا لا أملك إلا هذا القلم الذي يرتعش في يدي .

فهل لي أن اتوجه إلى معالي وزير الصحة وهو محط أنظار هذا البائس المتهالك .

هل لي أن استثير شفقته ليتفضل فيشمله بها ؟

إن كلمة واحدة يأمر فيها بترحيله إلى أوروبا ليعالج في مستشفياتها ربما كانت كافية لانقاذ هذا الشاب رحمة به وبزوجه وأطفالها .

هل نهيء البلاد العربية لصراع القوى ؟

لا أعرف مجالا صال فيه العرب في عهدهم الأخير مثل ما صالوا في مجال فلسطين .

ولكن إلى أي حد استطاعت فلسطين أن تستفيد من صولاتهم ؟ أخشى أنأقول أن ما أفاده العرب لانفسهم من فلسطين أكبر بكثير مما كان مقدراً لفلسطين أن تناله منهم .

فهم لا يكادون يختلفون أو يشتد النزاع بينهم وتتوتر العلاقات حتى ينادي بينهم منادي « فلسطين » ليجتمعوا ويتصافحوا ويتقابلوا في بعض الأمور أو جلها وقد ينجحون إلا في أمر فلسطين الذي يظل محالها في مكانه كمعرض دائم صالح للجولات والصولات لا أكثر :

قد يقال أننا وقد اجمعنا على تحويل روافد الأردن بدأنا نخط عمليا أهم خطواتنا في سبيل فلسطين وهي خطوة لا أشك في أنها ستكون موفقة إلى حد بعيد إذا أعددنا عدتها صادقين لدعمها وإلا فالويل لبلادنا إذا نحن اكتفينا بها كدعاوة لصولاتنا ومجالا لا أكثر نستعرض فيه عضلاتنا :

ترى هل أدخلنا في حسابنا أن المغتصبين ربما جعلوا من

موضوع التحويل مبررا يتذرعون به لشن هجمات عدوانية جديدة على أراضينا المتاخمة وأن مثل هذه الهجمات ربما تكررت فاضطرتنا أو إياهم إلى اشتباك جاد قابل للزحف والتوسع . .

قد يقال أننا نرحب بهذا ولا يعجزنا أن نجعلها فرصة العمر نجلي بها العصابة المغتصبة .. ولكن اهذا هو كل شيء؟؟

أنا لا يحلو لي أن أرتاب في كفاءة المعنيين بهذا من أبطال العرب ولكن خيالي يتسع إلى فروض أغنى لو نعنى بدراستها عناية واسعة .

نحن نشهد أن عالمنا اليوم يتطفل على اقتسام نفوذه قوتان متصارعتان وتعرف في الوقت نفسه أن مغتصبي أراضينا يستندون إلى إحدى القوتين استنادا لا يوصف بما تستند إليه الدول المتحالفة من بنود .. يستندون إلى من يتبناهم ولا يتوانى لحظة واحدة عن تسخير جميع إمكانياته الجبارة لخدمتهم بالإضافة إلى من يمالئه من كبريات الدول التي تحالفه .

فهل درسنا هذا التكتيك السياسي وهل ضمنا هذه القوة وبتنا واكدين من حيادها لنأخذ فرصتنا كاملة ضد المغتصبين؟

يبدو أننا إذا استطعنا أن ننجح في عزل هذه القوة التي تتبنى خصومنا وأن تضمن حياد جميع الممالئين من كبريات

الدول المعروفة بممالأتها فقد خطونا إلى النصر من أوسع أبوابه .

قد يقال أننا لا نأبه لقوة من تبناها أو مالأها ما دام في الطرف الآخر من العالم قوة تستطيع أن تستنجدها إذا جد أوان الجد .. ولكنه قول تترامى وراءه افدح الاخطار واهولها .

وهي أخطار رأينا نماذجها في كوريا وإفريقيا ونرى مثلها اليوم في الدومينيك وفي فيتنام وما سيجد على منوالها في أقطار الأرض.

رأينا أقطاراً واسعة أبيحت ميادينها لصراع القوتين الهائلتين فابادتا فيها معالم الحياة واشعلتاها شواظا التهم أهلها من اليمينيين أو اليساريين .

فهل نبيح بلادنا لمثل هذا الفناء الذي لا نضمن من نتائجه إلا الدمار الشامل أم يحسن بنا أن نسعى قبل كل إعداد إلى ما يضمن حياد الجبارين ؟

إنها فكرة قد تبدو غريبة لصعوبة تنفيذها ولكن الأصعب منها أن نستعجل أمورنا فنهيء بلادنا لتكون مسرحاً لصراع القوى .

التعليم والوظيفة الحكومية .

إذا كنا تعودنا أن نكتب ما يخالجنا من إحساس لصالح بلادنا فليس معنى هذا أننا وحدنا — جماعة الكتاب — مرهفوا الإحساس، ففي الزوايامئات الألوف يحسون أشد مما نحس وإن كانو الم يتعودوانشرأحاسيسهم بالصورة التي تعودناها .

تلقيت اليوم من صديق لي عدة صفحات تفيض بالكثير من أحاسيسه وهو يرجوني لاتولي عرضها لعل المعنيين يخصونها بشيء من عنايتهم خدمة للبلاد .

وإذا كان المجال هنا لا يتسع للكثير الذي أفاءبه فحسبي أن الخص أهمما جاء في صفحاته وأن أتولى عرضها تباعاً كلما سنحت الفرصة .

يثني صاحبي على عناية الحكومة بالتعليم وما تبذله وزارة المعارف من جهود في سبيل نشره ثم يذكر البادية ويعدد أسماء القبائل فيها من شرق إلى غرب ومن شمال إلى جنوب ويشير إلى المدارس التي انتشرت بين كل هذه القبائل من ابتدائية إلى متوسطة، ثم يشيد بالنشاط الذي يبديه أبناء القبائل والمثابرة التي ظهرت آثارها واضحة في نتائجهم حتى شوهد الكثير منهم يتخطى التعليم المتوسط إلى الثانوي في أقرب المدن إليه ويتخطى بعضهم التعليم الثانوي إلى أبواب الجامعات في إصرار يحمدون عليه .

ثم لا يلبث حضرته أن يسأل إلى أين هذا المصير ؟؟

إنه لا يتركنا لنجيب عليه بل يتولى نفسه الجواب ليقول : إنه سيتخرج من كلية التجارة أو الآداب أو الحقوق أو غيرها مما هو على غرارها ليهيء نفسه للوظيفة .. وللوظيفة فقط ! !

وهنا في رأيه تبدأ المشكلة ! ! انه يرى أن وظائف الدولة من هذا النوع سوف لا تتسع غداً لكل هذه الجيوش التي تلفظها الجامعات أو مدارسنا الثانوية أو حتى المتوسطة .

يرى أن الخطر كل الخطر في أن يصبح جميع شبابنا لا يصلح لغير الوظيفة .. سيتكتل كل هؤلاء على أبواب الوظائف وستضيق الوظائف بهم على مر السنين بدليل ما نشهد اليوم من بوادر هذا الضيق .. سيجدون أنفسهم غداً عاطلين فيعيشون هاملين وبذلك يسيئون إلى أنفسهم وبلادهم بقدر ما تخيلوه من معاني النفع .. وربما عرضهم ذلك للكثير من أبواب الفساد والشر والاجرام لا سمح الله .

وهو لهذا يؤمل أن يبادر أصحاب الاختصاص في التوجيه إلى دراسة الفكرة من سائر وجوهها قبل أن يتفاقم الأمر ويستعصي على الحل .

وهو هنا يضرب الأمثلة ببعض الأمم التي سبقتنا في هذا الطريق على مثل هذا المنوال ونسيت أن تحتاط للفكرة قبل

أن تستفحل نتائجها فكانت النتيجة أن تجاوز الأمر حده فجانس ضده فعاش الكثير منهم حياته عبداً للوظيفة لا يحسن غيرها .. حتى إذا ضاقت الوظائف بهم ارتكسوا وذاقوا من التعطيل والإهمال ما أفسدوا به أنفسهم وبلادهم .

وهو لا يقتصر في حديثه الفياض على ما يخشاه من أعداد التعليم للوظيفة في البادية بل يضيف إليه خوفه من النتائج نفسها في كثير من المدن .

وهو لهذا يعرض الأمر على ذوي الاختصاص آملاً أن يجد عندهم ما يستوفي العلاج .

لنتدبر كل مقــروء

الحياة ألوان .. فما يمنعنا اليوم أن نستطرف ونستلمح ؟
سأل صاحبي وهو يضع يده على الكتاب ويضحك للمفارقة الغريبة التي قرأها .

ما رأيك في أم عمرو هذه .. عشقها غريمها على السماع . والسماع فقط دون أن يرها . وبعد أن تصبب بها طويلا وتدله في حبها..بلغه أنها ماتت فأعلن الحداد لموتها وعاش يبكيها .

قلت إنها من خرافات القصاصين .. وإذا أبيت إلا أن نجعل لحديثها أصلا فيصح أن تسمي الغريم مجنوناً أو رجلاً شذ على قواعد البشر وليس لشواذ الحياة ما يعتد به .

إن الرؤية يا صاحبي أول عناصر الحب فلا بد لإثارة عواطفك من أن ترى ! ! .. وليس معنى هذا في رأيي أن تطيل النظر فاللمحة الخاطفة ربما كانت أبلغ اثارة من النظر المطمئن لان النظر المطمئن يدقق المساحة فلا يستنسب نتوءً قد يبدو له في الصدغ أو بروزا في الأنف أو جمودا في الملامح على عكس النظرة الخاطفة التي تسترق نظرك فتنفعل وتتوقد حواسك فجأة .

والنظرة المطمئنة تستطيع تدقيق المقاييس فمقاييس الجمال كما تعرف تختلف باختلاف الأفراد وان كانت تتفق باتفاق البيئات في بعض أحوالها .

بعض البيئات قد تتفق في لون العين أو لون الشعر أو بروز النهد أو طول القامة كما يتفق بعضها في الأنف المجزوم أو الشفة المتدلية أو الخد والذقن يحليها خطوط الوسم (المشالي) أو رسوم الوشم بالأخضر والأزرق .

قد تتفق البيئات على بعض المقاييس في الجمال ولكن أفرادها لابد أن يختلفوا في بعض المعايير : استدارة الوجه أو استطالته دقة الأنف أو استقامته أو امتلاء الجسم أو تهالكه .

قد يكون لنبرة الصوت أو رخامته جاذبية تستثير الأذن ولكنها استثارة لا تكفي في رأيي لان يثير له المغرم وتتوقد حواسه فيعلن الحداد إذا فقد الصوت .

فما بالك بعاشق أم عمرو ؟ هل راشته نظرة أو استثارته نبرة ؟

إنه خبر لا أكثر ، تحدث له عن جمالها مصادفة فما معنى أن يتدله في غرامها إلى هذا المنتهى المتطرف .. وما معنى أن يعلن الحداد إذا ماتت أو بلغه أنها ماتت .. !

ربما استطعت قبول الرواية إذا اتسق سياقها مع حكايات الممرورين والمجانين – وإلا فهي عندي لا تزيد عن خرافة مما يلفقه القصاصون .

والقصاصون في الأدب العربي للذهم الإمعان في أوسع آفاق الخيال ولا أستبعد أن اسلافنا كانوا يعرفون من شأنهم أكثر مما نعرف وأن رواتهم ما كانوا يتناقلون أمثال هذه القصص على أنها حوادث يجوز وقوعها بل طرائف يصح أن يتفكهوا بها في مجالسهم كما نتفكه اليوم بالنكت الضاحكة .

ولعل من أهم ما يغرينا اليوم بتصديقها أننا نقرؤها مطبوعة وللمطبوع أثره في الاغراء ونقرأ في ثناياها شعرا رصينا يمثل حوادثها ولم يكن الشعر الرصين معجزة عند أصحاب الابداع من القصاصين .

ليتنا نتدبر كل مقروء !! ولا يستغرقنا كل مطبوع !

مقـــام إبراهيم

حمدنا للحكومة عنايتها بالتوسعة في الشوارع والمشاعر كما حمدنا لها في توسعة المسجد الحرام وفي المطـــاف حول الكعبة إلا أن إبقاءنا على مقام إبراهيم قائما في مكانه أضاع علينا فرصة الاستفادة من توسعة المطاف بعد أن أنفقنا في سبيلها الملايين، فالحجاج يطوفون اليوم في رحاب جد متسع حتى إذا انتهوا إلى مقام إبراهيم انصبوا في مضيق كأنه عنق الزجاجة فركب الاقوياء ضعفاء الناس وداسوهم في سبيل روايات لم تتأكد عن موقع إبراهيم .

وان من يطلع على فتوى فضيلة المفتي الأكبر في شأن ذلك يجد أن كل ما اعتمدناه لثبوت مقام إبراهيم في مكانه قابل للجرح كما يجد أن أهم ما في المسألة هي رواية سيل أم نهشل الذي اقتلع المقام من مكانه مما أضطر الخليفة عمر رضى الله عنه أن ينتقل من المدينة إلى مكة ليحقق موضعه ويعيده إليه .

هذه الرواية لم تثبت ثبوتا يفرض اعتماده فبعض رجال السند في هذا الحديث قيل في شأنهم الكثير مما فصله فضيلة المفتي اعتمادا على ما نقله الثقاة من نقاد الحديث .

على أن ثمة ناحية أخرى لها قيمتها في الموضوع فنحن نسأل هل كان مقام إبراهيم ثابتا في مكانه هذا أو في غيره وهل كانت له في صدر الإسلام هذه القبة التي تشغل هذا الحيز الواسع حوله .

إن تقي الدين الفاسي وهو من أعلام مؤرخي مكة يذكر القبة فيقول أنه لا يعرف من بناها إلى أن يقول : ولعل الصليحي ملك اليمن هو أول من بناها في عهده الذي اقتحم فيه مكة . والصليحي من دعاة المذهب الباطني عاش في منتصف القرن الخامس الهجري .

ويشير الأزرقي إلى مقام إبراهيم في أكثر من موضع من كتابه فيذكر انهم كانوا ينقلونه إذا ازدحم الموسم إلى بعض أطراف المسجد وفي بعض المرات إلى جوف الكعبة ، كما يذكر ابن بطوطة أنه شهد مقام إبراهيم وقد أخرجوه في أحد الأيام إلى باب الكعبة من جوفها .

كل هذا يدل على أنه لم يكن ثابتا في مكان واحد وأن سلفنا حتى في عهد بني أمية كانوا ينقلونه إذا ازدحم الموسم فما يمنعنا أن ننقله أسوة بهم وما يمنعنا أن نزيح قبته ما دامت مستحدثة لا يعرفها عهد النبي (ص) ولا صحابته .

وما دام ديننا يقرر (لا ضرر ولا ضرار) فلماذا نصر على

هذا الوضع ونحن نشهد الضحايا من الطائفين يقضى عليهم دهسا بالأرجل بين يدي مقام إبراهيم .

لقد كتبت هذا في خطاب مطول إلى جلالة المغفور له الملك عبد العزيز فأحيل كما علمت إلى لجنة من العلماء لدراسته ثم أطبق عليه ولا أعلم إلى اليوم ماذا تم في شأنه ولعل علماءنا لم يوافقوا على ما فيه .

ولكن فضيلة المفتي وقد بدأ اليوم يحتضن الموضوع ويحقق في شأنه ويصدر فتواه بجواز نقله فإني اتمنى أن يحالفه النجاح الذي خانني كما اتمنى إلى الرابطة الإسلامية أن تبسطه للبحث في احدى جلسات المؤتمر لهذا العام لعل العلماء من شتى أقطار الإسلام يقتنعون بضرورة نقله رحمة بالشهداء الذين يعانون دهسا تحت الارجل .

ومن رأيي انه إذا تعذر نقله رغم كل هذه البينات فان في استطاعتنا أن نزيل القبة المستحدثة ونهبط بالمقام عدة أمتار تحت الأرض ثم نعيد سطح الأرض من زجاج متين شفاف يبيح للطائفين أن يتوسعوا في طوافهم وأن يشاهدوه أو يصلوا حوله إذا شاؤا كلما خف الزحام .

[نشر هذا من أكثر من عشرين سنة وأخيرا تم الرأي على إزاحة بناية المقام واقامة شاخص مكانه ولكن عنق الزجاجة بقيت يتعثر فيه الطائفون] .

عودونا الاحساس بالذات

كثيرة هي الأشياء التي تحيرني في هذه الحياة ويتعذر علي أن أجد تفسيرا معقولا لها .

أنا وأنت وألوف الملايين من أمثالنا عشنا عصاة لا نحترم القوانين إلا إذا ظلت القوانين قائمة على رؤوسنا ولا نتحرى عمل الواجب إلا مدفوعين بعامل الضرورة جلبا للمصلحة أو خوفا من العقاب .

والغريب في الأمر أن دعاة الإصلاح في الأرض عاشوا من أول يوم خلقت فيه الأرض يجاهدون في سبيل الخلق الفاضل فذهبت تسعة أعشار جهودهم هباء مع الرياح وحتى الجزء الباقي لا أعتقد أنه استقام إلا وهو يرجو الاستفادة أو يخاف الضرر .

وأغرب منه أن الكثرة ممن تعاقبوا على دعوة الإصلاح كانوا هم أنفسهم لا يستقيمون إلا في جوانب تقتضيها ظروف أنفسهم ،لا يستقيمون إلا في جوانب تقتضيها ظروف أعمالهم في الدعاوة ،فاذا امتحنتهم الحياة أو واتتهم ظروفها في غير تلك الجوانب نسوا الفضيلة وراحوا يتمتعون بلذائذ ما ينكرونه على غيرهم .

لست أعني بهذا نفي الفضائل عن وجه الأرض فهناك أفراد سمت أرواحهم إلى أقصى ما تصل إليه الفضيلة ولكنهم كانوا في عمر الزمان قلة لا تغير قاعدة الحياة .

ونحن في زماننا نسمع أن بعض البلاد المتمدنة تهذبت طباعها فانتهت إلى درجة كبيرة من الفضل فهم يقدرون قيمة الصدق ويعرفون للأمانة حقها وربما فعلوا الخير للخير نفسه وربما امتازوا بشرف ننساه في كثير من معاملاتنا .

نحن نسمع هذا ونعرف أنه حقيقة واقعه ... ولكن أيقال إن مثل هذا السلوك نابع عن مزايا فاضلة أم دفعت إليه ضرورة الحياة ؟

أما أنا فأعتقد أنهم قوم ضرستهم الحياة بتجاربها فعلمتهم أن فرص النجاح في أكثر دروب الحياة وثيق الصلة بالسلوك الصادق الأمين وأن سخاءهم بالخير في سبيل الخير فقط أسلوب ممتاز لتدعيم النجاح .

هم عقلاء في نظري أكثر منهم فضلاء وبهذا نعود إلى القاعدة التي اقتضتنا تحري الواجب بدافع من الضرورة جلباً للمصلحة أو خوفاً من العقاب .

أريد من هذا أن أقول أن الحياة لم تنجح إلى اليوم ورغم

كل المحاولات المرهقة التى عاشتها، ما عاش الأبد ، عجزت أن تهيىء النفوس الفاضلة وتطبعها على الخير المحض .

فالإنسان اليوم هو إنسان ما قبل التاريخ ... أناني بطبعه مغرم بذاته لا يبالي في سبيل لذته بكل القوانين ولا عبرة بالادعياء والقوّالين الذين يستقيمون فيما تقتضيه ظروف أعمالهم وينسون آلاف الجوانب التي يستبيحونها متسترين أو متأولين .

* * *

ومع هذا فلا أرى أن الحياة يجب أن تيأس بعد كل هذا الإرهاق الطويل .

ولو كان لي رأي بين المصلحين لاقترحت عليها أن تقلل ما استطاعت من فرض الأنظمة وإعلان القوانين وأن تجرب بناء الشعور بالذات .

« لقد كرمنا بني آدم » .. هذا التكريم نبع فياض ، إذا حاولنا تغذيته بكل ما ينميه ليصبح شعوراً حساساً يزن الأشياء ويدقق فيما يكرمه منها لاستطعنا أن نتنفس الخير بالسهولة التي نطلق فيها أنفاسنا دون أن نشعر .

إنه الضمير . . شعورك بذاتك وانك أكرم من أن تكذب أو تنافق أو تتاجر برأيك في الدين أو الوطنية أو

تختلس أو ترتشي .. هذا الشعور يسمو بك عن الانحراف ويعلمك كيف تدقق الحساب مع نفسك .

وثمة شيء يجب أن يضاف .. ذلك هو التعوّد .. فاذا نشأ المجتمع على تكريم نفسه وترفعت ذاتية أفراده عن الدنايا باتت الفضائل في نظره عادة ينساق إليها وهو لا يشعر، كما ينساق إلى شرب الشاي أو القهوة بحكم العادة .

لتعلّمونا اذن كيف نكرم أنفسنا ونحس بان لذاتنا قيمة تدقق الحساب وليس هذا بدعاً فنحن نشهد الوجهاء مثلاً ، وأعيان التجار وكبار العلماء والمتفوقين في الصناعة كثيراً ما يدققون حسابهم في بعض الجوانب التي ألفوا تكريم أنفسهم فيها .

فالوجيه لا يلبس الثوب الممزق لئلا يخدش كرامته ، والتاجر الغني لا يختلسك في خمسة ريالات لأنها أقل من قيمته في نظر نفسه ، والعالم الكبير لا يشارك في حلبة رقص لئلا يهين مرتبته العلمية والمتفــوق في الصناعة لا يغشك لئلا يهبط بميزته الصناعية في نظرك .

. هذه ألوان من الإحساس بالذات تعوّدناها في بعض جوانب الحياة بإملاء من ظروفنا فبتنا نتنفس بها تلقائياً دون أن نشعر .

فما يمنع هذه الأحاسيس أن تربى على مثل هذا الشعور في باقي جوانب الحياة ؟!

يقولون الضمير .. ويختلفون كثيراً في معنى ما يحدده.. وأنا أرى أن الضمير ليس إلا شعورك بذاتك ... شعورك أن الله كرمك كإنسان .

مرة أخرى .. علّمونا كيف نكرم أنفسنا وإذا أعوزكم هذا بالنسبةللمجموع فلا أقل من أن تعلموه ناشئتنا الجديدة.. علّموهم كيف يحاسبون أنفسهم وحاولوهم ليتعوّدوا العمل الفاضل بدافع من ذاتهم ليصبح أمراً تقليدياً ، فالتقاليد إذا تأصلت بات المجتمع محكوماً لها مأخوذاً بالمشي في ركابها تلقائياً دون أن يشعر أو يتكلف .

خط البلدة ـ مفخرتنا (*)

إن من سائر المرافق التي نتميز بها عن سائر بلاد الدنيا ونرفع رؤوسنا مباهين بها هي مواصلاتنا داخل البلدة ! !

وإذا كان بيننا من ينسى مآثر المجلس البلدي وأمانة العاصمة وقلم المرور في آن واحد فما عليه إلاّ أن يقف إلى أقرب موقف من مواقف خط البلدة ليرى ضرباً من المواصلات لا يضاهيه نوع حتى في مجاهل إفريقيا .

وإن تعجب فاعجب لكل هؤلاء الوفود والزوار على اختلاف ألوانهم وأجناسهم الذين عجزوا إلى اليوم عن أن يقتبسوا نظامنا في خط البلدة فيحذون حذوه ويقلدوا أسلوبه .

لعل بخلنا بما عندنا حال دون قدرتهم على التقليد فنحن لا تكاد بلادنا تزدحم بالحجاج حتى نضرب على الخط في بلادنا بخط أعرض منه فيتعذر الاقتباس ويستحيل التقليد .

إننا البلد الوحيد الذي بلغ من تقديس الحرية الشخصية ما يبيح لكل صاحب سيارة أن « يشطح » بها في أي وقت شاء من أي طرف في البلدة الى أي طرف ، لاتحده ساعة يبدؤها

ولا وقت بنصرف فيه ولا طريق خاص يلزم به ولا لوحة تعين وجهته .

ربما جاء بسيارته من الظهران أو من الرياض أو من جده أو حتى من خط الأنابيب فمن حقه أن يقتحم الخط أي خط شاء في شمال البلدة أو جنوبها دون أن يتكلف تغيير اسم البلد المخطوط في ظهرها فذلك نصب لا لزوم له . ثم ليس من حقنا أن نكلفه كتابة جهة ربما عنّ له ألا يستغني عنها غداً إلى جهـــة اخرى مادام الموضوع (شوعت) ومادام لديه صبي أو أكثر يستطيع أن يملأ الشوارع بصراخه ويقلق راحة الناس حتى في بيوتهم .

ونحن إلى هذا يلذّلنا أن نبيحه أكثر من هذه الحرية فلا نلزمه أثناء سيره أن لا يقف إلا في مكان معين ، فهو حر لان يستقبل أي راكب في أي مكان صادفه أو ينزل غيره في أي جهة يختارها وليس لركابه عدد محدود فذلك تعسف وقعت في أخطائه جميع البلاد غيرنا .

ألا ياقوم في أمانة العاصمة ومجلسنا البلدي وقلم المرور صدقوني إذا قلت أنه ليس بينكم إلا صديق أجله أو عزيز أكبره ولكن الكيل طفح وأن سكوتكم على مثل هذه الفوضى

في كل هذه السنين شيء لا يصح أن تعذروا عليه .. ولقد طالت الأقاويل حتى حسب الجهال أن في الميدان من يستفيد من هذا الوضع – فهل يرضيكم ؟؟

(*) كان هذا في عام ١٣٧٥ هـ .

ألسنا مطالبين بهذا . . للتاريخ ! (*)

الأستاذ عبد الله خوجه من أبطال التعليم الليلي البارزين في المملكة وخدماته في هذا المجال من نحو ٤٠ سنة معروفة مشهودة .

وهو إلى جانب هذا مولع بالعاديات الأثرية عاش حياته يتتبعها ويبذل الكثير من ماله الحر على قلته في سبيل اقتنائها حتى اجتمع له كما يقول — من نوادر النقود والأحجار والأواني والملابس الأثرية وغيرها وغيرها ما يصح أن يكون نواة طيبة لمتحف أثري حافل .

وقد تلقيت منه من أيام كلمة يبثني فيها ألمه في أسلوب مرير ويسألني لماذا يسخو بنفسه ولا يبالي بما يرهقها في سبيل ما جمع من العاديات الأثرية ويبذل من جيبه على قلة ذات اليد في سبيل أن يتحف بلاده بما يجملها ثم لا يجد من المعنيين بالأمر من يقدر ما بذل أو يعيره أدنى التفاته .

ويقول : لقد تقدمت إلى أمانة العاصمة أطلب السماح باقامة متحف لعرض ما أملك من عاديات أثرية فطلب المجلس البلدي إلى تقديم بيانات بأنواعها فتقدمت بها في ١٤ صفحة

فرفعوا ذلك إلى إمارة مكه وأحالتها الإمارة إلى وزارة الداخلية التي أحالتها إلى وزارة المعارف ،وقد جاء في قرار وزارة المعارف أنه من غير المفيد السماح للافراد باقامة متاحف خاصة لان ذلك من اختصاص الحكومة ممثلة في إدارة الآثار التي انشئت حديثا بوزارة المعارف .

إلى هنا لم يتجاوز الأمر إلى حده المعقول ولكن ما يأتي بعده يدعو إلى كثير من الدهشة فهو يقول :

« وحينما راجعت وزارة المعارف استطلع رأيها فيما سينتهي إليه الموضوع أفادني المختصون بأن لجنة خاصة ستكوّن للاطلاع على ما أملك من أثريات وتقوّمه بالثمن المستحق توطئة لشرائه ليصبح ملكاً للحكومة تستطيع عرضه باسمها .. ولكن هذه اللجنة لم تزل في عالم الغيب إلى اليوم رغم ما مضى عليها من أشهر ورغم مراجعاتي العديدة .. إلى أن يقول وقد كتبت إليهم أخيرا بأن العاديات بدأت تتعرض للتلف وأن تراكم الملابس بعضها فوق بعض في مكان ضيق هيأ للعثة أن تتوالد في ثناياها وأن اضطراري إلى نقلها من مكان إلى آخر عرّض بعض أنواعها للكسر أو التلف .

وهو بعد أن يمضي في بث ما يعانيه من ألم وهو يشهد ممتلكاته الغالية يدب إليها الفناء يرجوني لفت نظر وزيرنا

الشاب إلى شكواه ويطلب أن يهتم معاليه بالأمر فيأمر بصورة موقتة بتعيين مكان صالح يستطيع أن ينقلها إليه ويتولى تنظيفها وترتيبها لبينما تجتمع اللجنة للبت في أمر شرائها .

وأنا شخصيا أرى أننا مطالبون للفن والتاريخ أن نولي الأمر حقه من العناية ، فالأمم اليوم تتسابق بصورة جادة إلى العناية بتراثها الأثري فالتراث الأثري تاريخ ناطق كثيرا ما يغني عن عشرات المجلدات وهو إلى جانب هذا مدعاة للاعتزاز والمباهاة بين شعوب العالم فأنت لا تكاد تجد اليوم بلدا واحدا لا يعنى بآثاره ويبذل الكثير في سبيل صيانتها وتنسيق عرضها.

ومعالي وزيرنا الشاب خير من يعرف أن اهتبال مثل هذه الفرصة قبل أن تفلت من يد صاحبها أو تفقد قيمتها بفعل الأيام هي من أجل الخدمات التي يستطيع أن يخدم بها تاريخ بلاده .

ووزارة المعارف يهمها أن تدرك الأمر قبل موت استاذنا العجوز عبد الله خوجه لا أرانا الله فيه سوء (*) .

(*) كان هذا في عام ١٣٧٩ هـ .

طبيب الغابات

إلبرت شفايتسر أحد الرجال الذين فازوا في السنوات الأخيرة بجائزة نوبل .

وهو طبيب عاش حياته شريدا بين الغابات في مجاهل افريقيا .. وفي أسلوب هذه الحياة التي عاشها ما يصح أن يكون درساً بالغ التأثير بالنسبة لما درجنا عليه من (التنبله) والاستنامة للعيش الوادع الخفيض .

ما كاد شفايتسر يتسلم شهادة الطب قبل ستين عاما حتى نزعت به انسانيته فطوحت به إلى البعيد من مجاهل افريقيا .. وفي رأيه أنه إذا استطاع أن يحسن إلى المرضى والمتألمين من الفقراء بين الغابات المجهولة في افريقيا فانه بذلك يلبي أفضل الواجبات الانسانية التي تلح على ضميره الحي .

وبذلك شد رحاله إلى افريقيا وشرع يتوغل في الغابات بين القبائل شبه المتوحشة وظل على هذا أكثر من ثلاثين سنة لا هم له إلا أن يتنقل بين الجبال والقرى وشواطىء الأنهار ، يحمل ما يستطيع من صناديق الأدوية بمساعدة من يقنعه بالخدمة من الزنوج :

ولما شاعت خدماته الطبية وما جناه المرضى من عنايته الممتازة وثق الزنوج به فكانوا يتتبعون خطواته من قرية إلى أخرى عارضين أمراضهم وما يقاسون من آلامهم فيجدون من مواساته ما يشفي عللهم ويعالج شكاواهم .

واستطاع وبعد طول الممارسة في تلك الأصقاع الفقيرة من كل شيء أن يستخرج من أعشابهم ما أغناه عن كثير من مستوردات أوروبا فتوسعت أعماله وعندما أشتد عليه الطلب تعلم أن يجالد في المشي من أميال إلى أميال كما تعلم أن يستغني عن مائدته المترفة في أوروبا بأي عصيد يصادفه مما يأكل الزنوج في أدغالهم .

وعندما تقدمت به السن أبت نفسه عليه أن يعود إلى بيته الجميل وحياته الناعمة فألقى عصاه على نهر أو جوفه من منطقة جابون ليكون على مقربة من متوسط الخطوط التي يتفرع منها عشرات الطرق إلى مساكن القبائل .. وانشأ هناك مستشفى كان يستقبل فيه يوميا مئات المرضى قادمين من وراء الغابات .

وعاش في خدمة مستشفاه سنوات طويلة .. حتى بلغت سنوات أعماله في تلك المناطق ٥١ عاما .

وهو اليوم وقد أوفى عمره على التسعين يأبى أن يفارق أصدقاءه في تلك الاصقاع لانه يشعر بحاجتهم الملحة إلى مساعدته ولا يرى في صحته ما يقصر به عن متابعة العمل في سبيل خيرهم .

والطريف في أمره أنه من هواة الموسيقى علقها في شبابه والتحق بدراستها فاشتهر أمره فيها إلى جانب ما بلغه في الطب ولو بقي على ما نشأ عليه في بلاده لكان له شأن بين مشاهير الموسيقى .

ولكنه اكتفى بما حذقه من آلاتها واصطحب الآلات معه لتكون سلوته الوحيدة في أوقات فراغه بين تلك الأدغال .

واتصلت أخبار جهاده ببعض المجلات العلمية فكتبت عنه الفصول الطوال تثني على ما يبذل للإنسانية وما يقاسي في سبيل اسعادها فاستحق في نظر المعنيين بجائزة نوبل أن تمنح له اعترافا بأريحيته بعد تحقيق طويل أثبت جدارته .

إنه درس بعيد في مثاليته .. ليتنا نتعلم فيه كيف تثبت الرجولة مستواها الصحيح فتنسى جميع المغريات في الحياة في سبيل أن تسعى لخير الناس واسعادهم .

هل آن للاسلام أن ينطلق ؟

هل صحت أحلام أستاذنا الكواكبي رحمه الله .. ؟؟

لقد تخيل في كتابه (أم القرى) أنه انشيء في مكة مؤتمر اسلامى عالمي يبحث سائر شئون الاسلام ويحيل ما يلزم إحالته منها إلى لجان خاصة لدراستها . وبعدأن تسكمل جميع الاجراءات ويوافق عليها المؤتمر تستأنف دورتها لتحال إلى التنفيذ .

انك تقرأ الكتاب فتتصور أنه مؤتمر قائم فعلا دون أن يكون له أثر في الخيال وتجد انك أمام تنظيمات لا تشك في وجودها اطلاقا فهل كانت الفكرة إرهاصاً لحقائق نعمل اليوم لإثبات وجودها ؟

والواقع أن مانشاهده اليوم من نشاط الرابطة في مكة يتسع لكثير من الآمال التي يتمناها كل مسلم على وجه الأرض فامانتها العامة لم تأل جهدا في بذل المساعي على أوسع نطاق كما نتخيله.واامينها العام يفرغ فيما يبدو لنا كل طاقاته من النشاط والتجارب ليجعل لصوتها صدى يدوي في آفاق العالم الإسلامى .

وها نحن أولاء نتيجة لهذا الجهد الواسع نصافح اليوم في مكة أعيان المسلمين ووجوه الرأى في أقطار الاسلام من أقصى الشمال إلى أدنى الجنوب ومن أبعد نقطة في الشرق إلى آخر مدى في الغرب .. تقاطروا جميعهم مستجيبين لنداء الرابطة متهيئين للعمل في نطاق مؤتمرها الكبير ..

ولكن الذى يحلو لي ولكل مسلم أن يسأله هل آن للاسلام أن يبدأ بهم انطلاقة جديدة تخدم المسلمين في جميع اصقاعهم في أسلوب عملي جديد ؟

لقد سئم المسلمون كثيراً من ألوان الاجتماعات التي تبدأ بأوراق المحاضر وتنتهي بلفات الاضابير وهم اليوم يأملون من مؤتمراتهم هذه وقد ضمت وجوه أصحاب الرأى في بلاد المسلمين أن يبدأ حياة جديدة لا علاقة لها بكل الأساليب القديمة التي كانت تلف مجتمعاتنا .

نتمنى على المؤتمرين أن يعطوا الموضوع ما يستأهله في قلوبهم وأن يتكاشفوا الحقائق في غير غموض أو تقية وأن يتبينوا ما يمكنهم أن يتفقوا عليه في وضوح وما لا يمكنهم فلا يضطروا إلى الابهام في قراراتهم أو تحميلها ما لا تحتمل من التفسير أو صياغتها فيما لا يقبل التنفيذ جرياً على عادة أكثر الاجتماعات في أكثر البلاد .

نتمنى عليهم أن ينسوا ولوإلى حين خطاباتهم البليغة وكفاءتهم في الإسهاب والبيان فالوقت في حاجة إلى شيء عملي تتكاشف فيه النيات ليستوضحوا من بينها ما يهدف إلى خدمة المسلمين عامة .

الوقت في حاجة إلى أن نسدد ونقارب في سبيل المصلحة العامة .

إلى وزارة التجارة ، وأمانة العاصمة

استمعت إلى بعض نفر من المواطنين يرون أن على أن أنبه أمانة العاصمة إلى بعض الأجانب الذين يستأجرون بعض الجدار المطلة على الشوارع العامة خصوصا في حي أجياد ثم تجهزون لها دواليب لا تشغل من الشوارع إلا أقل من نصف متر ولكن صاحب الدولاب إذا وقف بجانبه ووقف الحجاج حوله أخذوا حيزا من الشارع وضيقوه على المارة والسيارات وهم يرون أن هذا يزاحم أصحاب الدكاكين الوطنيين .

وهم يلاحظون على هذه المساحات الواسعة الواقعة بجوار المسجد الحرام ويرون أن المسئولين يحسنون صنعاً لو قاموا بتوزيعها على فقراء الباعة الوطنيين في شهور الموسم فقد كانوا يجعلون منها دكاكين صغيرة موقتة ينتفعون من أعمالهم فيها وهي في الوقت نفسه تصون المساحات من تبول الحجاج الفقراء وأوساخهم واتخاذها مأوى يسكنونه باثاثهم ومواعينهم فيسيؤون إلى المنظر العام حول المسجد ويشوهونه .

وهم يطالبوني بأن اقترح على أمانة العاصمة اتخاذ اكشاك خاصة على غرار الأكشاك التي اتخذتها في بعض الشوارع فهي بهذا تملأ فراغ المساحات في بعض الجهات

المجاورة للمسجد والتي تراها تحتاج إلى الصيانة من عبث فقراء الحجاج وتوجرها على الباعة الوطنيين مساعدة لهم وتحاشياً من تشويه المنظر العام .

وهم يرون أن تكون هذه الأكشاك كبيرة الحجم نوعا ما تعلوها مظلة أوتوماتيكية واسعة بعض الشيء إلى حد لا يضيق الشارع بسببها وأن تحاول الأمانة أن تتقارب الأكشاك من بعضها في كل منطقة ليتيسر ارتزاقهم باحتكاك أقدام الحجاج بين كل منطقة وأخرى فانهم لا يرون الأكشاك التى اقامتها أمانة العاصمة إلى الآن صالحة للعمل لهم بسبب ضيقها ولأن مواقعها غير استراتيجية بالنسبة للمرتزقين من الموسم وهي غير متقاربة لتكون وسيلة لتجمع الحجاج .

وهم يرجون إلى وزارة التجارة ملاحظة بعض الأجانب الذين يسرحون ببعض الساعات القديمة والخربة في أيديهم فيغشون بها الحجاج ويعتبر غشهم محسوباً على الأهالي في مكة وهي فكرة تستحق التأييد في رأيي ،كما تستحق التوسع لتشمل حتى الباعة من الوطنيين من سائر الاصناف ،فسمعة البلاد يجب أن تعيش مصونة لا يعبث بها صغار الباعة سواء كانوا وطنيين أو غير وطنيين .. فقد أساء كثير من أصحاب الجشع في السنوات الاخيرة إلى سمعتنا اساءات لا تليق بشرف هذه البلاد ولا تكرم أمة تريد أن تبني لنفسها بين الأمم .

مأساة الذباب

الذباب في بلادنا نوع من أمراضنا المستعصية وكذلك شأن الناموس .

ونحن نعرف أن حرمان بلادنا طول سنيها من المجاري العامة هو علة العلل في هذه المأساة كما نعرف أن حكومتنا أحالت موضوع المجاري إلى الدراسة من سنوات وكاد التنفيذ أن يبدأ لولا أنه تعثر لظروف خاصة وأن الجهات المسئولة ما لبثت أن استأنفت البحث في موضوع المجاري ولم يبق على بدء التنفيذ إلا خطوة روتينية يقول العالمون ببواطن الأمور أنها بسيطة فعسانا لا نتعثر من جديد .

ومع هذا فالمفروض أننا إلى أن يتم موضوع المجاري لا يجب أن نعجز كل العجز عن محاربة الذباب ودفع بعض ضرره ولو عن مآكلنا في الأسواق .

إن الأمم التي قضت على الذباب لا تبيح رغم ما فعلت للمأكولات المعروضة في الأسواق أن تعرض مكشوفة أخذاً بالإحتياط فما بالنا نحن نترك الجزارين والتمارين وأمثالهم يعرضون بضائعهم مكشوفة دون خوف أو مبالاة !

أنا أعرف أن أمانة العاصمة كانت قد فرضت من سنوات على أمثال هؤلاء الباعة أن لا يعرضوا بضائعهم إلا في أقفاص خاصة وانهم شرعوا يتقيدون بالأوامر ولكنهم ما لبثوا أن سئموا القيود فانطلقوا ببضائعهم يعرضونها للذباب. فهل علمت هذا أمانة العاصمة وهل علمه المراقبون بمتابعة الباعة وهل حققوا على أحد من العصاة عقوبة تردعه وتعلمه احترام الأوامر ؟

أذكر أنني كتبت مرة قبل شهور طويلة ألفت نظر أمانة العاصمة إلى باعة الكروش والمقادم وفضلات اللحوم والرؤوس الذين يتجمعون في السوق الصغير لعرض بضائعهم في صورة قذرة يتجمع عليها الذباب في حالة تعافها النفس. كما أذكر أن أمين العاصمة اهتم للأمر يومها فأرفق ما كتبته إلى جهة الاختصاص يطلب تشكيل لجنة تقرر ما تراه لإزاحة هذا الضرر. وقد ذكر أن اللجنة المذكورة اجتمعت وبحثت وتقدمت بمرئياتها ومع هذا فقد ظل الأمر كما كان لم يتغير بشيء .. وظل الباعة على حالهم يعرضون بضائعهم في صورها المزرية يخيم عليها الذباب والغبار .. المؤلم في هذا أنه لا يحلو لهم مثل هذا العرض إلا في مواجهة شارع هو من أهم شوارع مكة المكرمة .

وأغرب ما استغرب له في الأمر أن أمانة العاصمة عندما

قنعت بوجهة نظري لم تبادر إلى التنفيذ بل طلبت تشكيل لجنة لتقرير ما تراه اللجنة في هذه المرئيات فهل أفهم من هذا أن أمانة العاصمة تملك فرض رقابتها على المستهترين بالصحة العامة وإلزامهم بصيانة بضائعهم في دواليب تصونها من عبث الذباب وإبعاد كل ما يسيء واجهة الشوارع إلى مناطق منزوية تخصصها لهم في حالة معينة تقبلها شروط الصحة العامة .

وليت الأمر بعد كل هذا الروتين انتهى إلى نتيجة ذات أثر فعال اذن لهان الأمر..ولكن المؤلم أن الأمور تجري على ما كانت رغم الشهور الطويلة التي مضت عليها .

ولا أدري ونحن اليوم على باب موسم جديد هل واجهاتنا العامة وبضائعنا المعروضة عرضة للإنتقاد أم أننا نستطيع أن نفعل شيئا يشرفنا ؟؟ إننا منتظرون ! !

مامعني هذا ؟!!

— ١ —

في بعض الإحصاءات أن عدد الأجانب المقيمين في سويسرا بلغ ١٥ بالمئة بالنسبة إلى سكانها ويعلق بعض الباحثين الإجتماعيين على هذه الاحصائية فيقولون : إن الأهالي في سويسرا أخذوا يضيقون بهذا العدد ويعتبرون نسبته هائلة وخطيرة لا تبعث على الاطمئنان وربما أحالت اقتصاديات سويسرا إلى حالة تعيش فيها تحت رحمة الأجانب .

ويقولون : إنها فرصة جيرانهم من الإيطاليين فقد أمتاز العمال في إيطانيا بالنشاط فوجدوا مرتعهم خصباً بين السويسريين الذين يميلون أكثر ما يميلون إلى الأعمال الإدارية والخدمة في البنوك ويتحاشون أن يزاولوا من المهن ما يخدش أياديهم الناعمة !!

تذكرت هذا وأنا أمر بالأمس بعمارة لا تزال في دور الإنشاء فراعني منها أنه ليس بين عمالها مواطن واحد .. تعمدت الوقوف على كثب منها لأطيل النظر بينهم فاذا حاملوا لحجر من التكارنة وإذا العاملون في البناء من العدنيين وإذا

الواقفون للإشراف والهندسة من إخواننا المجاورين أصحاب البنطلونات .

ورأيتني أسائل نفسي : ترى او تمت أعمال الإنشاء في العمارة وعقبتها أعمال النجارة والبلاط والبياض والتسليك وسائر ما يلزم لأعمال (التشطيب) أكنا نجد من بين الوطنيين من يتناول كل هذه الأعمال ؟

وتبادر الجواب إلى نفسي كما يتبادر الآن إلى نفس كل قارىء بأننا قد لا نجد بين مزاوليها وطنياً واحداً !

ترى ما معنى هذا ؟؟

قد يقال هنا أن الوطنيين مظلومون في مثل هذا المجال ففي بلادنا عشرات وعشرات ممن يمتهنون أمثال هذه الحرف يواجهونك عاطلين لا يجدون ما يشتغلونه .

إذن فالسؤال لا يزال في مكانه : ترى ما معنى هذا؟

أما أنا فيتبادر إلى ذهني جواب أتمنى أن يكون خاطئاً .. فقد شاع من سمعة اخواننا المواطنين أنهم يغالون في أسعارهم وأن أعمالهم في مثل هذه المهن تتسم بالرتابة وأنهم رغم حاجتهم يمتازون بأخلاق (تجارية) لا يستسيغها الزبون ! !

أنا شخصياً لا أؤكد هذا ولا أنفيه ولكني أسأل وللمرة الثالثة : إذن فما معنى هذا ؟

ما معنى أن أصحاب الإنشاءات يفضلون معاملة التكروني واليمني والفلسطيني وكثير من أجناس المجاورين وينأون عن معاملة مواطنيهم .

قال لي مرة مسؤول في أحد مكاتب العمـــال إن إخواننا المواطنين متزاحمون على مكاتب العمل بحثاً عن عمل يرتزقون منه فإذا عرض على أحدهم عمل في ورشة للحدادة أو النجارة أو السمكرة أو معامل الطوب أو ما أشبه ذلك أزورّ عنا ثاني عطفه .

فاذا سئل عما يفضله من الأعمال قال : أريد كم لتلحقوني في وظيفة فراش في أي مكتب يتراءى لكم .

إلى أن قال وعبارة : « أريدكم لتلحقوني فرّاشاً في أي مكتب » تكاد أن تكون قاسماً مشتركاً بين أكثر طلاب العمل من مواطنينا .

أجدني للمرة الرابعة حرّياً بأن أسأل : ترى ما معنى هذا ؟؟

وأرجو أن لا يلحاني غيور على بلاده إذا وجدني عاجزاً عن أن أعلل ما غمض عليّ من أسباب ذلك .

وأن يعذرني إذا رجوت إلى أصحاب الاختصاص في البحوث الاجتماعية أن يناقشوا الفكرة نقاشاً علمياً لعل في ذلك ما ينتهي إلى العلاج .

مامعني هذا ؟؟

— ٢ —

أشرت في كلمتي السابقة إلى ما يشاع عن رتابة أيادينا العاملة وما يكرهونه من الأعمال المرهقة وقلت لعلهم مظلومون فيما أشيع عنهم .

وبالأمس قابلني شخص من رجال الأعمال ليقول لي لقد قرأت كلمتك عن الأيدي العاملة عندنا وكنت أتمنى لو خالطت بعض أعمالي وأطلعت على ما يذهلك من الحقائق ..

ثم قال : انى أملك ورشة للسمكرة لو زرتني فيها لوجدت جميع عمالي من التكارنة إذا استثنيت المعلم ومساعديه وهم من الأجانب المستقدمين ..

ستتهمني بالجحود وتجدف على وطنيتي ولكن ستغير رأيك إذا راق لك أن تعرف الحقيقة .. فاسمعنى :

إن اسم الورشة مسجل في مكتب العمل التابع لمدينتي وإنها مستعدة لتشغيل ما لا يقل عن عشرين شخصاً من العمال الموفدين من المكتب ..

ودعني بعد هذا أصور لك ما يصادفني من غرائب هؤلاء الموفدين واسمح لي زيادة في الإيضاح أن أعطيهم أرقاماً متسلسلة ..

العامل رقم (١) خطا نحو باب الورشة وأنا المح في يده مذكرة مكتب العمل فاستعد لاستلامها ولكنه ما كاد يلقي نظرة عامة على الحوش المترب ويسمع المطارق تصم أذنيه حتى توقف لا يريم عن العتبة ثم يلوي عائدا من حيث أتى .. ! !

العامل رقم (٢) كان أكثر إقداماً من سابقه فقد تخطى الباب ثم سأل عني وسلمني الورقة فأسلمته إلى المعلم الذى كلفه بتنظيف قطعة معينة فما كاد يبدأ العمل حتى تبين له أنه متعب فانسل من الورشة دون أن نشعر به عائداً من حيث أتى .. ! !

العامل رقم (٣) جالد عمله أسبوعاً .. غاب بعده أياماً ثم عاد ليسألني لماذا لا أضمه إلى عمال (الصباغ) فلما افهمته أن نظام العمل يقتضي التدريج أطال التحديق في مدى بعيد .. ثم استأنف : إذن حاسبوني .. وما كاد يقبض حقوقه حتى عاد من حيث أتى .. !

العامل رقم (٤) كان أكثر جلداً من سابقه فقد واظب نحو شهر ثم جاء يستأذنني لزيارة أمه في القرية فلما أفهمته أن

التحاقه بهذه المهنة يقتضيه المواظبة وأن المواظبة يترتب عليها زيادة الأجرة كما يترتب عليها نجاحه في مهنة تدر عليه في المستقبل كسباً طيباً ما زاد أن ضحك وقال الرزاق بيد الرزاق ثم مد يده إلى باقي استحقاقه وعاد من حيث أتى .. ! !

العامل رقم (٥) واظب على عمله أكثر من أربعة شهور ولكنه كان يرهقني بطلبات السلف وعندما كنت أفهمه أن للسلف حدوداً لا يجوز أن تتعداها وأن نظامها مقدر بالأسبوع كان هذا لا يزيده إلا إلحاحاً ، ومع هذا ظللت اجالده لشدة حاجتي إلى اليد العاملة فلم تجده المجالدة ورأيتني في أحد الأيام أصفي حسابه فاذا هو استنزف راتبه قبل أن ينتصف الشهر فاضطررت لانذاره فكان ذلك آخر يوم عاد فيه من حيث أتى .. ! !

العامل رقم ٦ إلى رقم ١٨ استقاموا عندى أياماً يتراوح عددها ما بين عشرين إلى تسعين يوماً حسب التواريخ التي التحقوا فيها بعملي ثم أهلّ شهر ذي القعدة فاذا هم يتسللون واحدا بعد الآخر بحثا عن مرتزقهم في الأسواق وعند المطوفين وأصحاب الزمزم وقد شعرت بمغبة هذا التسلل من أولى بوادره فانثنيت أناقش زملاءهم قبل أن يتسللوا لاقنعهم بان الكسب المؤقت في الموسم لا يفيد مستقبلهم بقدر ما تفيدهم

هذه المهنة إذا واظبوا على أعمالها فكانوا يؤكدون لي بأن ما أقوله حقاً .. ولكن هذا الحق ما لبث أن انبلج يوم نظرت في الورشة فاذا جميع مقاعدهم خالية وعلمت أنهم لحقوا باخوانهم عائدين من حيث أتوا ..!

هذه نماذج حية يشكو من نتائجها أكثر أصحاب الأعمال في بلادنا وهي في رأيي من أشد الظواهر التي يتعين على وزارة العمل أن تحيل دراستها إلى الباحثين الاجتماعيين في الوزارة لعلهم يجدون حلاً لعلاجها .

مامعني هذا ؟ !

– ٣ –

.. وقال لي أحد رجال الأعمال : لقد قرأت ما كتبته عن مشاكل العمل ولكن المشكلة التي أرويها يصح أن يكون لها بند آخر .

إن أعمالي لا ينفع لها أي شخص يوافيني ليطلب عملاً

،لابد له أن يتمرن على شيء لا يعرفه ولم يمر بذهنه قط ولا يكفي لتمرينه شهر أو أكثر بل لابد له أن يستديم إلى مدة ربما بلغت العام أو طالت إلى عامين .

ولا تسل عما اتكلفه أثناء تمرينه فأنا أدفع له مكافأة شهرية لقاء تعطيله مرتبطاً بالتعليم وأنا اتقاضى إلى جانب ذلك عما يتلفه أثناء التعليم دون أن اتقاضاه شيئا .

ومع هذا فإنه لا يكاد يشعر أنه بات يتقدم خطوات فيما يتعلم حتى يصبح سيد الموقف .

ربما عن له أن يترك العمل ليسافر إلى بلده أو يلتحق بأي جهة في نفس العمل ليعمل فيها .

سيقال إنه حر فيما يتصرف وهذا حق يبدو ولأول وهلة لا غبار عليه ولكن .. صاحب العمل أليس له حق في مثل هذا المجال أو شبه حق ؟؟

لقد فتح أمامه الباب ليتعلم وبسط أمامه جميع الأدوات ليتمرن عليها كما تغاض عن جميع الأخطاء وسامح فيما ناله من خسارة اقتضاها الحال .. ثم هو بعد ذلك أو قبله إن شئت لم يتقاض شيئا عما بذل للتعليم بل تكلف ما كان يدفعه شهريا كراتب مقرر .. فما موقفه بعد هذا ؟

إن نظام العمل لم يعين له موقفاً خاصاً لأنه ليس في مواده أن يتقاضى شيئا عما بذل للتعليم .

لم ينص هل يتعين عليه أن يفيد الورشة أو المصنع مما تعلمه إلى مدة مقدرة تتكافأ مع ما بذله المصنع في تعليمه أم ينطلق حراً ويترك الدرا تنعي من بناها وهل يظل دار العمل يعلم كل يوم جديدا حتى إذا غادره الجديد استأنف المشقة مع غيره .. ثم مع غيره وغيره .. دواليك .

من أجل هذا ظلت الورش وظلت المصانع تتحاشى أن تعلم طالب العمل فيظل حياته متسكعاً لا يجد ما يعمله .. وتضطر دور العمل لقاء هذا أن تحاول جهدها لاستقدام من سبق له العمل من خارج البلاد .

ولا تثريب فيما أعتقد على صاحب العمل ما دام يعرف أن جهوده لتعليم العمال لا تجديه إلا خسارة .. جهوداً يقف المتعلم في نهايتها سيداً للموقف .. يواظب إذا عن له أن يواظب بدافع من شهامته .. ويترك العمل إذا عن له تركه دون أن يخشى نظاماً يحده أو قاعدة تلزمه بما أنفق المحل على تعليمه .

ترى هل يعرف المسؤولون عن تقرير النظام الجديد للعمل والعمال أنهم إذا ظلوا يغفلون مثل هذا فيما ينظمون من مواد جديدة فانما يسيئون بذلك إلى الثقافة الصناعية في البلاد ؟

إن دور العمل لا تجرؤ على فتح أبوابها لطلاب التعليم فيما تحترف إلا إذا وجدت في نظام العمل ما ترتكز عليه ليضمن جهودها في التعليم وحقوقها عند من نعلمه .. وإلا فسيظل عمالنا على جهلهم متسكعين وتعيش دور العمل عالة عـلى ما تستقدمه من خارج البلاد .

الذبائح في منى

نشرت في جريدة الندوة عام ١٣٧٤ هـ

لا ينكر أحد أن جميع الترتيبات التى حاولها المختصون لنظافة منى ضاعت هباء ورؤيت الذبائح تملأ الطرقات وتنشر عفونتها بين الخيام والبيوت عدا أوساخ الحجاج وفضلاتهم .

والذي يراه أصحاب الرأي أنه لا حيلة في القضاء على هذا إلا بانشاء مصنع تبريد اللحوم وتعليبها الذي طال عليه الأمد قبل أن يرى النور .

فعسى أن يكون عامنا هذا آخر عهد لنا بمثل هذه المناظر وعسى أن يستطيع المكلفون بالنظافة أن يعيدوا النظر جدياً بعد اليوم فيما نعانيه من باقي الأوساخ والفضلات .

نحن نعرف أن أمانة العاصمة استعانت باصحاب الاختصاص فقدموا إليها عشرات المراقبين على أمل أن يضبطوا مداخل منى فلا يبيحون لباعة المواشي دخولها إلا إلى الجهة التى عينت للبيع والذبح تحاشياً من أن يتخللوا بمواشيهم خيام الحجاج فيتم البيع والذبح بين الخيام كما تعودوا أن يفعلوا في سنيهم السابقة .

ولكننا نعرف كذلك أن مداخل منى ليست محددة ليسهل مراقبتها فهي محصورة بين سلسلتين طويلتين من الجبال ولا يعجز البدوي أو يعجز مواشيه أن يتسلقوا الجبال من أي جهة أرادوها ليهبطوا إلى الخيام بعيدين عن عيون الرقباء مهما بلغت قوة إبصارها .

ونحن نعرف أن أمانة العاصمة وجهت نداءها في الصحف لترجو المواطنين والحجاج أن يقلعوا عن شراء المواشي من السارحين بين الخيام وذبحها حتى لا يسيئون إلى صحتهم بما تبعثه فضلاتها من روائح كريهة .

ولكن الواقع أن الاغلبية الساحقة من عنتهم بندائها لا يقرؤون الصحف وإذا قرأها القليل منهم فأنانية الإنسان هي أنانيته وهى تأبى عليه أن يتكلف المشوار إلى نهاية منى وهو يجد المواشي سارحة بين يديه معروضة للبيع وسكين الذبح تلمع بين أوانيه .

إذن فجميع الترتيبات كانت إلى عبث وجميع النداءات لم يسمع منها حرف فعاشت منى أيامها مفروشة سائر طرقاتها ومسالكها وأزقتها بالذبائح تنبعث منها الروائح العفنة التي لا تطاق .

ترى لو هبط منى خلسة أحد من غير المسلمين فصادفته هذه المناظر الكئيبة وزكمت أنفه ماينبعث منها ألا يجدها فرصة يحمل بها على أعمال المسلمين وتبذيرهم في وقت بات فيه العالم أشد ما يكون حاجة إلى كل أوقية من أكوام اللحوم الملقاة هدراً للعفونة والبلى !

لعل في هذا ما يكفي لأن يحفزنا للعمل الجاد الذي طالت دراسته فننشط لبناء مصانع التبريد والتعليب توفيراً للأموال الطائلة التي ننبذها وعملاً لإفادة الفقراء من طعامها .

سارق الزهر . . وسارق الحقل !

العالم اليوم أتون يستعر بالأهواء الضالة والختل الطاغي والجبروت يدعمه البنزين والفحم والذرة .

وتطالعنا أخبار مدوية بصيحات الويل في كل جانب من الأرض تتجاوب اصداوءه في استياء عام من هؤلاء الذين يهيمنون على مقدرات العالم فيسومونه الخسف والاضطهاد .

ويعنينا اليوم من هذا الطغيان ناحيته التربوية لفتيان الجيل الجديد وقيمته الايجابية في سلوكهم الواعي .

ففتياننا الذين أرهقنا أرواحهم بمثات المثل شاخصة في كتب الأخــلاق والسير والتراجم وبذلنا جهود الجبابرة لندس في أوعيتهم الخفية صوراً تمثل الانسانية في أعلى درجاتها من السمو والكمال سيفتحون أعينهم على واقع الحياة الداعر ويشهدون من ختل الاقوياء وعسفهم وهوان الضعفاء وذلهم ما يعفي على كل أثر طبعته كتب الاخلاق في أذهانهم .

والناشيء في سن المراهقة يبدأ الدور الذي يستقل فيه بوعيه الخاص ويشعر بقدرته على انتزاع دروسه من واقع الحياة :

ولو قلنا إنه في هذا الدور يضع لنفسه أول برنامج لسلوكه ينتزعه من واقعه المكشوف لما عدونا ما ينبغي أن يقال ! !

وإذا كان صحيحا ما يقال : « إن العوامل الانفعالية تؤثر في تكوين شخصية الانسان بمثل ما تؤثر الأحوال المناخية في نمو النبات » فان وقائع العالم اليومية وما تذيعه الأنباء من أحداث سيترك أسوأ الأثر في تكوين شخصياتنا الجديدة ويطبعها على شر ما يطبع عليه الأنذال .

ستشخص آمالهم شخوصاً يلوون ألسنتهم بعريض القول في مبادىء السلام وحماية التعايش في أركان الأرض ومساندة العدالة حتى إذا دانت لهم الحياة نسوا مبادئهم وتجاهلوا ما كانوا يلوون به ألسنتهم فأصبح العدل عدلاً ما أخذ أشكاله من منافعهم والتعايش تعايشاً ما حقق أهواءهم ومضى مضي مصالحهم .

وبعد فيا أيها المتمدينون في آفاق الأرض ما أحلى أن تقتصدوا في مزاعمكم فتعترفوا بالمبادىء التي أجمعت كتب الأخلاق على اعتمادها دون مواربة والتواء أو تعلنوها حرباً ضروساً عليها وتشعلوا النار في كل حرف يشير إلى أبسط

معانيها فتبيحوا لسائر الآثمين أن ينطلقوا في الأرض لا ياويهم وازع ولا تقف دونهم مقاييس من الأخلاق .

أما أن يظل (سارق الزهر مذموم وسارق الحقل باسل) فذلك نسق سيطبع جيلنا بأسوأ ما تطبع به الأجيال .

أنت ياصديقى المتبرِّم !!

سمعتك أمس تشكو وتتأفف .. وليس هذا جديداً عليك !!

لقد عشت حياتك في هذا البرم .. عشت تشكو سوء الحظ .. وتندب قلة التقدير .. وتنعي كفاءاتك الضائعة .. وتطلق آهاتك حسرات على دنيا سخيفة تمالىء من لا يستحق فتعبد أمامه الطريق ، وتعاند الاكفاء من أمثالك فتضع العثرات في سبيلهم .

لا ياصاحبي .. ليست هناك ممالأة وليس هناك عناد .

أتسمعني ؟؟

إن الحياة فرص .. وكفاءاتك التى تدعيها لا تكفي وحدها لتصيد الفرص .. والفرص نفسها ما تعودت أن تطرق أبواب الكفاءات الهاجعة إلا في النادر الشاذ .

أتدري ؟؟

لعله ينقصك الذكاء .. والذكاء المتوقد الوهاج الذي ينشئك من جديد فتنسى كفاءاتك الميتة .. تنسى أن تلحس نفسك .. وتنسى أن تستجر الهموم والآهات .. تنسى كل

حسراتك التي عشتها بين العويل والنعي والندب ومتابعة فلان الذى نجح فيما لا يستحق وعلان الذي خدمته مفارقات الحظ .

تنسى كل ما يبدد طاقتك من هذه الألوان الخابية لتستغلها فيما يهمك من خصوصياتك .

إنس كل هذا يا صاحبي .. واستجمع ذكاءك وهيئه لتكون في خدمة ما تدعي من كفاءاتك .

أتفهمني ؟؟

يلذ لي أن لا اراك بعد اليوم كئيبا أو متشائما .. ليس التشاؤم يا صاحبي إلا مرض ينتاب المهووسين بانفسهم والمتعسفين فيلوِّن الحياة أمامهم باللون القاتم ويترك هذا أثره في تفكيرهم فيشل حركته وفي ارادتهم فيسلبهم قدرتها .

والمتفائلون .. ما ظنك بهم ؟ — انهم لا أكثر من أذكياء ضحكوا للحياة أو ضحكوا منها .. إنهم لا يدققون حسابها مهما تنوعت صروفها .. وأنت لا يعجزك هذا .

هل افتقرت ؟

هل فشلت ؟

هل خسرت ؟

هل فاتت الفرصة ؟
هل سبقك الأدني ؟
كل هذا لا شيء بجانب قوة نفسك .

ترى هل تندم ؟ هل تتألم ؟ هل تبكي .. لتفعل كل هذا إذا كان في هذا ما يعالج فقرك أو فشلك ، أو خسارتك أو يعوض عليك ما فات ؟

ستقول ليس في كل هذا ما يجدي .

إذن فانت إنسان بدأت تصحو .. بدأت تفهم انك مع كل هذا أسعد حالاً من ألوف أشقاهم الزمان بأكثر مما شقيت .

وما دمت قد استطعت أن تشعر ولو بهذا القدر الضئيل من السعادة فليس ما يمنعك أن تضحك .

اضحك يا صاحبي .. وإذا استطعت أن تنتزع الضحكة من أعماق صدرك .. وان تنزعها قوية مجلجلة فقد شفيت .

ولا ينقصك بعد هذا إلا العزم ... والعزم الواكد لتستأنف مافاتك .. لا تتعسف كثيراً في تفسير ما نلت من جهادك .. حسبك أن ترضى عن نفسك كمجاهد ولا أكثر .

إذا ظفرت فاضحك فرحاً بما بلغت .. وإذا فشلت فلا يعجزك أن تضحك لغرائب المفارقات .

مطوفوا صحن المسجد

نشرت عام ١٣٨١ هـ في جريدة الندوة .

يعجبني من أدلاء المدينة المنورة في مسجد رسول الله انهم يعرفون للمقام الطاهر حرمته ويقدرون نسبتهم إليه خير تقدير .

فهم بين سواري المسجد قائمين أو قاعدين مجتمعين أو متفرقين في بقعة تكاد أن تكون معينة بجوار باب السلام يهيمن عليهم هدوء مؤدب .. فهم فيما بدا لي قل أن يتزاحموا أو يشاغبوا أو يلاحقوا الزائر في إلحاح .

قد يهيب بك أحدهم وهو جالس : هل تزور ؟ .. دون أن يلحق بها كلمة أخرى وربما صادفك غيره واقفا في طريقك فلا يزيد على كلمة زميله حرفا فإما أن يتبعك إذا وافقت ، أو يتركك إذا أشرت إليه بغير الموافقة .

وهم قبل هذا وبعده يحترمون سمتهم فازياؤهم نظيفة محترمة يبدو فيها معنى الإحتشام .

وأنت تقارن بين ما تشاهده من هؤلاء الأدلاء في مسجد المدينة وبين رصفائهم في مسجد مكة وأسميهم مطوفي الصحن فتجد البون شاسعا فاخواننا هنا يتوازعون أكثر الأروقة والمشايات وأبواب المسجد وصحنه ولايتورعون عن المزاحمة والملاحقة والإلحاف .. وربما تجمعوا فاذا لأصواتهم ضوضاء أو تفرقوا فتسمع لنداءاتهم جلبه .. أما سمتهم فأبرزه الجبة السوداء وهي الرداء العجيب الذي لا يعرف إلى اليوم وظيفته الصحيحة عند الكثير منهم فهى إما عالقة بكتفه أو مدسوعة تحت إبطه لجلوسه أو مسحوبة باحدى يديه على الأرض أو مفروشة لجلوسه أو ملبوسة إلى ساقه كما لوكانت روتينا سخيفاً لابد من تطبيقه .

إن قربي بهم يجعلني أهتم بمناقشة شؤونهم وأحوالهم فلا عجب أن تأخذني الغيرة لهم أو عليهم من بعض هذه المظاهر التى لا تتفق ونسبتهم إلى المهنة التى يحترفونها بجوار الكعبة .

كنت من سنتين قد كتبت أشكو من بعض المجاورين الدخلاء عليهم الذين كانوا يستقبلون السيارات خارج المسجد ليطاردوا ركابها وهم حفاة في صور مزرية فاستجاب المسؤولون لما شكوت وأمروا بمنع الدخلاء فامتنعوا وبذلك امتنعت مطاردة السيارات خارج المسجد كما يبدو لي وهى

عناية نقدرها للمسوولين فما يمنعهم اليوم وقد صفا لهم الجو أن يتفقوا على وضع يشرف مركزهم فالجبة يجب أن تكون ملبوسة في سمت محترم .. ما يمنعهم أن يتجمعوا في مكان معين قرب صحن المسجد حيث ينوي الطائف بالبيت ثم يتقدم منهم فوج صغير ليبحث عمن يطوفه حتى إذا وجد لحقه فوج آخر وتبعه بعده في أسلوب منظم ييسر لهم سبيل الارتزاق ويهون عليهم مشاق التسابق والتزاحم والالحاف .

ليت المسؤولين عنهم يستطيعون اقناعهم ليجتمعوا على رأي كهذا أو ما يشبهه، ليتهم ينظمون لهم قاعدة تحفظ لهم مراكزهم كريمة مصونة ويندبون من يشرف على تحقيقها ويفرضون عليهم زيا موحدا يشرف حرفتهم ؟

أزمات المواد الضرورية . . وكيف نتجنبها

وصلتني رسالة من أحد الأصدقاء واسمهأبو عبد الوهاب ، الشيخ الذي شاب واكتهل في ميدان التجارة حتى تقاعد . لقد أبدى لي أسباباً لأزمة المــواد الضرورية التى تفاجأ بهـــا بلادنا في كثير من المناسبات . . وأستطيع هنا أن الخص ما يراه ويقترحه لعلاج الحال :

إنه يرى العلاج رهيناً بتأسيس شركة مساهمة في كل منطقة من مناطة المملكة تصبح مسؤولة بصورة إلزامية عن تموين منطقتها بشكل آمن لا يتسرب إليه العبث ولا يشوبه تلاعب . ويرى أن تؤلف الشركة من عموم التجار المستوردين في سائر مدن المنطقة .. وكل راغب من بقية أفراد الشعب على أن يكون للتجار حق المساهمة في ٧٠ ٪ كمؤسسين ويوزع الباقي على بقية الراغبين من أفراد الشعب .

كما يرى أن يتألف مجلس الشركة من الأعضاء المؤسسين ويتولى إدارة أعمالها منتخبون منهم وتشكل أهم وظائفها من بينهم .

وأن تمنح الشركة امتيازا باستيراد أهم المواد الغذائية كالحبوب بأنواعها والدقيق والارز واللحوم والسكر والشاى والسمن الصناعى .

وهو يقدر للشركة رأسمال كبير لتستطيع أن تواجه مطالب المنطقة من سائر المواد الغذائية على أن تحتفظ في مستودعاتها بصورة دائمة ما يكفي البلاد لستة أشهر أو عام وأن توزع جميع ما تستورده بأسعار ثابتة خاضعة لرقابة الحكومة على أن لا تزيد نسبة أرباحها عن ٥ ٪ إلى عشرة .. وهو يدلل على وجاهة اقتراحه فيقول :

إننا بهذا لا نظلم المستوردين الحاليين بعد أن اعتمدناهم كمؤسسين وأوليناهم أمر الشركة ومنحناهم أهم وظائفها لنستفيد من خبراتهم ونسهل لهم سبيل الكسب . كما أننا في الوقت نفسه نأمن تلاعب بعضهم بالأسعار وعبثهم بالمستهلكين عند كل هزة تتناقلها الاخبار العالمية أو يتأخر فيها وصول البواخر فتختفي البضائع في أعماق مخازنهم ويبدأ ميزان أسعارهم في الصعود بشكل مخيف .

وفي استطاعة الشركة أن تدقق إحصاء ما تستهلكه البلاد من كل صنف فتعرف مدى ما تستورده ليتوازى العرض بالطلب وهي بحكم رأسمالها الكبير لا يعجزها أن تستورد

الكميات الهائلة فيتاح لها السعر الأرخص كما لا يعجزها أن توفر من أجور النقل في البواخر وغيرها ما يقلل من نفقات التكاليف كما أن المستودعات وقيود المستودعات تصبح مكشوفة لرقابة الحكومة فلا تختفي الاصناف من السوق ولا تجد من يستغل اختفاءها لارباحه الخاصة .

ثم يشير إلى صوامع الغلال التي انتهت وزارة التجارة من دراستها ويقول أن الشركة تستطيع أن تستفيد منها لحفظ الاحتياطي الكبير الذى تجد نفسها ملزمة به .

وعندما يأتي على قصة اللحوم في بلادنا يقول أن متعهدي اللحوم أثروا ثراء فاحشا من أرباحها وهم مع هذا لا يفون بالتزاماتهم ولا ينفكون بين حين وآخر أن يعبثوا بالاستيراد ويتركوا أسعارها تتزايد باستمرار رغم ما تبذله الحكومة لهم من إعانات ، فلو أحلنا أمر اللحوم إلى الشركة نفسها لاستطعنا أن نستفيد من كفاءتها المالية ونحتمي بسجلات القيود عندها من أى تلاعب نخشاه .. بل نستطيع أن نأمن من غائلة جميع الأسعار في جميع المواد الضرورية لانها ستصبح ثابتة حتى ولو فاجأتها هزة خارجية ، ذلك لأن الاحتياطي الكبير الذى تملكه يكفيها لتجتاز به المحنة وتستطيع اعتماداً على عون الحكومة أن تستورد في الازمات ما ينقصها من أي جهة بعيدة عن الهزات :

ويقول قبل أن يختم كلمته : ربما كان بعض كبار المستوردين لا يعجبهم مثل هذا الاقتراح بعد أن ألفوا الارباح الطائلة التي أثقلت كاهل الشعب ، فما يمنعنا أن نستغني عن مساهمتهم بغيرهم ممن تهمهم المصلحة العامة إلى جانب ما يستفيدونه من سهومهم في الشركة .

هذا ملخص ما يبديه أبو عبد الوهاب ،أرجو أن أكون قد وفقت في عرض خلاصته أمام المختصين في وزارة التجارة والمعنيين في جميع الغرف التجارية ، كما أرجو أن ينال من عنايتهم ما يؤهله للدراسة والبحث ـ وعلى الله قصد السبيل .

ماركات السمن الصناعي

كنا مجتمعين .. وكان البحث يدور في شتى شؤون الحياة .. وفي مثل هذه الاجتماعات يبدو وكأن كل شخص يحاول أن يثبت فهمه لما يدور في المجلس من أفكار ..

وفي مثل هذه الاجتماعات يكثر النقد العام وتتوارد التعليقات وتتابع الاقتراحات ويجد (هريج الغبرة) فرصة سانحة ليشبع هوايته في الحديث (الفارغ والمليان) .

ولكن يبدو أن (هريجنا) في هذا الاجتماع لم يكن فارغا إلى الحد الذى تضيق به المجتمعات بل كان أميز ما فيه هذه المرة أنه (مليان) .

قال اخونا بعد أن ترك ليّ الشيشة يستريح فوق المتكأ إلى جانبه : ألا ترون أننا نعيش مع هذا السمن الصناعي المستورد في حيص بيص ؟؟؟

قلنا وكيف ؟؟

قال لقد تعددت ماركاته وتنوعت حتى أصبحت أكثر من الهم على القلب .. ولكن هل يستطيع أي منجم أن يحدد الفرق بين أى ماركة وأخرى .

صحيح أن ثمت فرقاً بين سعر وآخر ولكن هل لدينا ما يثبت الجودة للاغلى دون الارخص مثلاً أم هو أسلوب تجاري يستطيع التاجر المغالي أن يشعرنا به أن صنفه من النوع الممتاز .

قال هذا ثم عاد إلى شيشته (يكركر) فيها ويستأنف حديثه :

« إن من السمن الصناعي ما تتكون مادته من الشحوم الحيوانية وإن منه ما يتكون من زيت الحوت أو بعض الحيوانات السفلى وإن منه ما يتكون من زيوت نباتية بحتة .. ولسنا نشك في أن تركيب المواد ومزجها بما يضاف إليها من مواد كيماوية أخرى تعطيه لونا أو نكهة خاصة أصبح فنا يضاهي فنون الحواة .. ولكن هل يغير كل ها شيئا من طبيعة المادة الأولية التى تكون منها .. ؟؟

ستقولون : لا .. وإذن ماذا أفعل أنا اذا كنت ممنوعاً من دسم الشحوم مثلاً أو فرض الطبيب أن لا أطعم إلا سمناً نباتياً .. هل لديّ ما يثبت نوع السمن الذي اشتريه ؟

وعاد مرة أخرى إلى ليّ الشيشة يضعه فوق المتكأ في أناة وهو يقول : لماذا لا نفرض على المصنع المصدر أن يسجل

على كل علبة أسماء المواد التي تكوّن منها السمن ومقاديرها كما تفعل مصانع الأدوية ؟؟ ؛

قال أصحابي : إنها فكرة (مليانة) في هذه المرة .. قلت وعليّ أن اتوجه إلى وزارة التجارة وأصحاب الغرف التجارية ليدرسوا الفكرة ويصدروا في شأنها أمراً يضع حدا لما نحن فيه من حيص وبيص — فهل بلغت ؟

— ارجو ذلك وإنا لمنتظرون .. ! !

ماذا . . بعد الفتح الجديد ؟!

قلتها يوم بدأ العمل في تمهيد جبل كرا .

قال العربي وهو يزهو بكبرياء جبله :

لنا جبل يحتله من نجيره — منيع يرد الطرف وهو كليل
أصله تحت الثرى وسما به — إلى النجم فرع لا ينال طويل

ترى هل دار بخلد العربي يومها أن جباله المنيعة «التي ترد الطرف وهو كليل» ستتطامن وتستخذي ؟؟

وأن فروعه التي سمت إلى النجم حتى لا تنال باتت رهينة العلم الجبار والإرادة الحديدية التي تعصف بأعتى الجبال وتنفذ إلى أبعد ما يتسع له الخيال ؟

لقد أثبت الفيصل عزيمته .. وحقق العلم كفاءته ولم يبق إلا أن يؤكد المسؤولون عن عمران الطائف جدارتهم للفتح الجديد .

إنه فتح سيجتذب إليه ألوف المتطلعين ليشهدوا ما بنت أيدينا وشادت عزائمنا ويستعرضوا مصيفنا الذى شغل حيزا واسعا في التاريخ وتسامع الناس في حاضرنا بالكثير الذى

يميزه عن أمثاله من المصائف .. فهل أعددنا ما يصافحهم فيه من الجمال والتنسيق أم سنتركه ليصدم آمالهم فيه ويجعلنا أضحوكة بين المصائف ؟ !

سيدلج الطريق بالمصطافين والسواح الأجانب فهل تواجههم في قمته قرى بدائية لا أثر فيها للحياة إلا بعض كراسي الشريط المتهالكة وصبيان القهوة الذين لا تعرف ألوان ثيابهم من كثرة ما نالها من أوساخ ؟ !

وإذا سال الطريق بهم إلى الطائف فهل يصافحهم في شوارعها من التنسيق والنظافة ما يثبت حضارتنا . وهل تلتقى الشوارع بميادين واسعة مخططة في ابداع ؟

وإذا سال الطريق بهم إلى الطائف فهل يصافحهم نظامها ما يشرف سمعة الطائف كمصيف وهل يروا في أزقتنا لو عن لهم أن يتغلغلوا بين منعطفاتها ما تعودوا رؤياه فيما مروا به في أى بلد متمدن ؟

والواقع أن الفتح الجديد أحالنا إلى الوان من الحرج يتعذر الصبر عليها فالسائح الذى يشهد الطريق العملاق سوف يهيء نفسه ليصافح في مصيفنا الكثير الذى يليق بما مر به من الفخامة سوف يهيء نفسه ليصافح المروج الغناء والاستراحات

الجميلة والشوارع النظيفة والاسواق المنسقة .. سوف يهيء نفسه ليصافح الجمال شائعا في كل ما تقع عليه عينه . .

فهل أعد المسؤولون عن عمران الطائف عدتهم لهذا قبل أن نتعرض لمقت الساخرين ونقدهم .

إننا نؤمل هذا .. وننتظر ! !

ليتهم يدرسون التاريخ !

لو فوّض إليك أحد أصحاب الملايين أن تختار له عملاً خيرياً يجعل أفضل أمواله وقفاً عليه فلا اشك أنك ستختار له بناء ملجأ أو مستشفى أو أى شيء من هذا القبيل الذي تعود المحسنون وقف أموالهم عليه .

ولكن رغم وجاهة رأيك فاني أرى أن ينفق على غير هذه الوجوه .. !

لا تضحك كثيرا مما أبديه فربما ثبت لك أنه أفضل وجه يجب أن توجه إليه أعمال الخير على ضوء أحداث الساعة .

أليسوا يقولون أن نظريات الحياة يجب أن تستلهم من أحدث أفكار الساعة .. إذن فنظريتي لا تعدو هذه القاعدة فهى مستلهمة من آخر ما وصلت إليه تطوراتنا ! ! فهل تسمعنى ؟

أرى أن ينفق المبلغ في تأسيس فصل يلحق باحدى الجامعات العليا في العالم وأن نتقدم باحترام إلى السادة الذين يديرون دفة العالم فوق سطح الكرة الأرضية وعددهم كما

هو معروف لا يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة .. نتقدم إليهم في رجاء حار أن يتفضلوا بالموافقة على التحاقهم بهذا الفصل كطلبة معيدين .

أنا أعرف أن مستواهم الثقافي من ارفع المستويات ولكن ثبت لي بالأدلة القاطعة أن ثمت مادة لها قيمتها العلمية لم تتفق أذهانهم لدراستها دراسة وافية .

تلك هي مادة التاريخ ! وسوف لا يرهقهم هذا الفصل بغير الدراسة لهذه المادة وحدها ... وأكبر ظني أن مثل هذا الطلب سوف لا يضيرهم كثيرا ..

خصوصا إذا علموا أن نجاحهم غداً .. إذا قدر لهم فيه النجاح سيترتب عليه نجاح العالم من القطب إلى القطب .

نريدهم ليدرسوا حوادث العالم وما تناوبته من آثام وشرور لازمته طوال الاحقاب التى عاشها على سطح هذه الكرة بسبب الحروب التي كانت تشنها أطماع القادة في أقطار العالم .

نريدهم ليفهموا أن سائر الشعارات التي عاش الطامعون يطلون بها أطماعهم ويقترفون باسمها كل الوان العدوان والقتل والتدمير في سبيل أن ينصروا مبادئهم .. عجزت كل

هذه عن نصرة مبادئهم نصراً مبيناً خالداً ! ! فالنصر لا يولد قط إلا محاولات جديدة تهدمه وتثأر للمهزومين فيه.وأنهار الدماء لا تجف في العادة إلا لترويها سيول جديدة من دماء جديدة .

نريدهم ليقتنعوا بانه ليس في تاريخ الأرض حرب استطاع أن يحل مشكلة ، أو يهب نصراً أبدياً .. أو يمنع سلسلة من الحروب تتوالى على أعقابه في فتك أشد وتدمير أكبر .

عساهم بعد هذا يستطيعون أن يحكموا عقولهم فيما توتر من أعصابهم فيبحثوا عن وسائل أجدى لفائدة البشر وأمان حياتهم .

إلى سيداتنا المثقفات

(١)

قال لي وهو يغالب دمعة تكاد أن تطفر من عينيه : ألا تجدون حلا لما نعانيه منهن ؟؟

قلت : إنها اشارة ناعمة لعلها تنتهي إلى شيء أنعم .

قال : إذا كنت تراهن ناعمات فان أعمالهن لا يكاد تدانيها قسوة الحجر الصلد .

قلت : ليتلك تفصح .

قال : إني أب لفتاتين ناهدتين وطفلين أحدهما يحبو ، ويتعثر الثاني في خطواته الأولى نحو المدرسة .

وأنا كما تراني أعمل في محل تجاري لقاء مرتب لا أشك في أنه سيكفيني مؤنتي وأهلي لو وجدت في بيتي من يتجاوب معي ويفهم دقائق ملابساتي .

قلت وما عليك إذا أنت دققت موازنتك الشهرية بعد حسم الإحتياطي طبعا ومضيت تنفق في حدودها ما يتعين انفاقه .

قال : اذن ... لماذا اشكو إليك ما دمت أملك حقوق تنظيم موازنتي ؟؟ لقد نظمتها بنوداً وجعلت لكل بند رقمه وبلغتها إلى أم الأولاد وزيرة الداخلية في بيتي ولكن من لي بمن يعلمها كيف تفهم .

هناك يا سيدي بند خاص بالكساء مثلا اشتريه اليوم جديدا لكافة أفراد الاسرة فلا يكاد يمضي اسبوعان حتى يقال انهم مدعوون إلى حفل زواج وانه يتعين عليّ شراء ما غلا ثمنه وربما وجدتهم معذورين فتكلفت ما يرونه واجبا وتحملت الدين في سبيله ولكنه لا يكاد أن يتم الشهر حتى يقال انهم مدعوون إلى حفل (تَسْمَيه) .

وأقول ليس في هذا ما يكلفنا فلا تزال الملابس الثمينة التي كلفناها يوم حفل الزواج وتكلفنا الدين في سبيلها لا تزال محتفظة برونقها فتضحك الأم لبلاهتي ويضحك الفتيات لضحكها .

لقد شوهدت الملابس عليهن في حفل الزواج فهل يلبسنها مرة أخرى في حفل آخر ؟

إنني في نظرهن أشد سذاجة من أي أبله وأنا أبدي مثل هذا الرأي .. وانهن لا يصح أن يحتملن استهانة السيدات بهن وهن يكررن لبس (فستان) لبسوه مرة من قبل هذه .

وبذلك تظل أم الأولاد تحاضرنى فيما يجب عمله لتثبت قيمتها الاجتماعية وقيمة فتياتها بين السيدات.ويجهش الفتيات بالبكاء عند كل مقطع من المحاضرة كما نصفق نحن بالضبط لكل جملة راقتنا ونحن نستمع إلى محاضر كفء .

ترى ماذا أفعل ؟؟

هل اتكلف الديون بعد الأخرى في سبيل تقليد لا أعقله فتضطرب موازنتي ويرتبك عيشي واذوق ذل الدين ومرارة الفاقة ؟

أم أقف عند رأيي منصوب القامة فيشتعل البيت نارا وتسوء علاقتى بأم الأولاد وفتياتى اساءة لا يغسلها شيء ؟

أؤكد لك أنني في سبيل أن اتفادى كل هذه الشرور اضطررت للتذلل لرئيسي في العمل وبعد أن استمعت إلى من توبيخى به تنازل باعطائى قرضا جديدا اضيف إلى الدين القديم فكان ضغثا على اباله .

إلى سيداتنا المثقفات

— ٢ —

ولم تمض على هذا أسابيع حتى قيل لي إن عائلة فلان وصلت من السفر ! !

حمداً لله على سلامتهم .. فهل من جديد ؟؟

— أجل .. فنحن سنحضر الحفل الذى أقاموه .. وأنت تعرف ما يجب .. إن كل الفساتين التى نشكرك على ما بذلت في سبيلها أصبحت ملبوسة .. وأنت لا يرضيك أن نعود فنلبسها مرة ثانية .. نسأل الله أن يساعدك فتشترى لنا من هذه العينات التى (فنَّت) فنحن لا نريد أن نكون أقل من عائلة فلان أو بنات علان .

وثمت شيء آخر .. لابد لنا وأنت سيد العارفين أن نصطحب معنا ولو بعض الهدايا فقد سبق أن أهدونا يوم (طهور سامي) ويوم عودتنا من المدينة في الشهر الماضى .. وانت لا تقبل ذهابنا في أيد فارغة .. يكفينا ولو بعض الواجب .. تكفينا ثلاثة (فساتين) يقدمها ثلاثتنا لسيدة البيت وسنغض الطرف عن الباقين مرغمين .

ارأيت ؟؟ إنه بعض الواجب .. وانهن سيرغمن فيغضضن الطرف !

هذا ما سيكون من أمرهن .. أما أنا .. أنا المثقل بالديوان .. المرهق بالهموم .. المضطربة حياتي ومعاشي .. أنا المسهد الذى لا أنام أكثر ليلي لطول ما أفكر فيما آل إليه أمري من شدة ارتباكى .. أنا .. أنا يا سيدي لست في حسابهن.

ثق يا سيدى أنني رجل أحب أن تمضي أمورى على نظام مقدر .. ولقد عشت قبل زواجى اتقبل عسر الحياة بنفس الروح التى اتقبل بها اليسر .. عشت أضغط على نفسى واجالدها إذا عسرت تفاديا من أن أكابد هموم الديون واستذل لأصحابها أو يرتبك معاشى في سبيل سدادها .

ولكنى اليوم لا أجد من يفهمني .. انهن في بيتى اسيرات لتقاليد لا يستطعن عصيانها بأي حال .. وعلي وحدى تقع كل هذه التبعات .

أنا اليوم أعاني من الديون ما لا يطاق حمله .. ومع هذا وبالرغم منه فانا معرّض في كل يوم جديد لتقليد جديد يثقلنى بديون جديدة .. وقد حاولت مرارا لأجرب وقوفي منصوب القامة فرأيتنى بين اثنتين إما أن اعلنها حربا فافقد عائلتى

وبناتي واطرد من قلوبهن أو أستخذي فتفنى حياتي كما تفنى الشمعة بعد طول احتراق .

قال هذا .. ثم ما ملك أن تهالك أمامي على الكرسي في أعياء يتفطر له الفؤاد .. ومضت دقائق طويلة استفاق بعض الشيء بعدها فوقف يودعني وهو يترنح ويسألني هل تستطيع الصحافة أن تفعل شيئا لهذا الذي نقاسيه .

ورأيتني بعدها أفكر بدوري : هل تستطيع الصحافة أن تفعل شيئا لهذا الذى يقاسيه الناس ؟

الواقع أن في بلادنا نهضة نسائية شملت أهم المدن ، وتجند لها أبرز المثقفات في بيوتنا فما يمنعهن وهن العاقلات أن يغضبن لمثل هذه المظاهر الزائفة التي باتت تفتن العائلات وتثير الشرور بين الرجل وزوجه وبناته .

إنهن خير من يعرفهن أن تعسف السيدة وهي ترفض لبس فستان جديد لانها شوهدت تلبسه مرة سابقة شيء لا يقره منطق ولا يصدقه عقل .

ومن خير من يعرف أن أكثر هذه التقاليد التي شاعت بينهن طالما سببت مشاكل وهدمت بيوتاً وأفقرت رجالاً .

وأنه لا يعالج كل هذه الشكاوى إلا أن تغضب المثقفات غضبة صارخة فيجمعن على أن يبدأن بانفسهن فلا يرتدين لأبهى الحفلات إلا ثيابا سبق استعمالها ولا يتقدمن في كل المناسبات إلا بهدايا رمزية لا تزيد عن قارورة عطر أو صحبة ورد أو منديل حريري أو شيء من فاكهة .

إننا ننتظر غضبتهن كما ننتظر اسم السيدة الكريمة التى تجرؤ على تحدي سائر هذه التقاليد بعزم ثابت وقوة واكدة .. رحمة بالرجال وخدمة للاقتصاد العام .. فهل يسمعننا ؟؟

إلى وزارة العمل

سيدي وزير العمل والشئون الاجتماعية .

أهم ما يلفت نظر الحاج المسافر بين مكة والمدينة ملاحقة الشحاذين له في سائر القرى التي يمر بها .

فسيارته لا تقف في أى محطة لتتزود بالبنزين أو ليأخذ قسطه من الراحة حتى يزدحم حوله الشحاذون يسألونه الصدقة في إلحاح .

بل ربما اصطف بعضهم في قرى أخرى على جانبي الطريق أثناء سير السيارة وهي مارة بهم كالسهم ليصيحوا بطلب الإحسان في مسكنة غريبة .

على أن بعضهم ربما عرض للبيع نوعا من المنتجات عندهم كالبيض أو البطيخ أو التمر في صورة مشرفة لكن كثيرا من هولاء الباعة لا يلبثون أن يمدوا أيديهم بطلب الإحسان .

أنا لا أنكر أن بعضهم ربما دعته الحاجة إلى طلب الإحسان ولكني أعتقد أن الكثرة منهم يمكنهم أن يستغنوا

عنه لأن من يعولونهم موزعون على أكثر المدن يتكسبون فيها من أعمال شريفة ويوالون رعايتهم وارسال ما يكفي لنفقاتهم

اذن فما معنى هذا التهالك المزري على احتراف التسول .

ليس لدي إلا تعليل واحد ربما استاء له بعضنا ولكنها الحقيقة يجب أن تقال مهما كانت مرارتها .

هذا التعليل يتلخص في أن هذه البلاد عاشت مئات السنين ترتزق أكثر ما ترتزق من الحجاج وكانت لاتدقق كثيرا في أنواع التكسب فالحاج في نظرها حاج ما جاء إليها إلا لينفق ويعطي كما أن مصادر الكسب عن غير طريق الحاج كانت مفقودة إذا استثنيت أعمال التجارة وبعض الاحتراف في بعض المهن اليدوية الصغيرة ذلك لأن المهيمنين على الحكم يومها كان لا يعنيهم من أمر هذه البلاد إلا أن تظل حياتها تعيش على برهم وبر المحسنين فلم يهيئوها للعمل المثمر الذي هيؤوه لسائر الممتلكات الاسلامية الأخرى .

وكان أمر البادية أشد وانكى فقد عاشوا فقراء لا يتكسبون من غير الحجاج مهما كان لون هذا التكسب .

اذن فنظرتنا إلى الحاج كمصدر للرزق والإحسان ليست جديدة علينا لهذا فقد بات بعضنا بحكم العادة لا يستنكف أي

محاولة للارتزاق من الحاج في أي صورة استطاعها حتى ولو كانت من طريق الإحسان .. بل ربما تعالى بعضهم عن أن يمد يده إلى محسن من المواطنين بينما لا يرى أية غضاضة في أن يمدها حتى إلى أفقر الحجاج .

تأصلت العادة وربما ظل أثرها باقيا إلى اليوم بيننا وهي في بعض بوادينا باتت أكثر تأصلا لكثرة الفراغ بين الفارغين منهم :

ونحن بعد أن حمدنا لوزارة العمل نشاطها في علاج التسول في أكثر مدننا نتمنى إليها أن توجه أكثر من هذا الالتفاف إلى اخواننا في البادية .

والغريب في الأمر أن أكثر حجاجنا في سنواتنا الأخيرة يصافحون بلادنا وهم فقراء،ولو قيست نسبة ما تحمله جيوبهم إلى أكثر مواطنينا العاديين لحق للحجاج أن يكونوا هم المتسولين ومع هذا فلا يزال بيننا من يؤمل احسانهم بالرغم من أن احسانهم حتى لو جادوا به فقد بات لا يزيد عن القرش أو أقل من القرش إن وجد .

إن في استطاعة وزارة العمل أن تمد يدها إلى البوادي بعد المدن .. في استطاعتها أن ترشدهم إلى أن مثل هذا التكسب

يشين بلادنا ويحقرها وستجد أن البدوي من أشد الناس غضبا لكرامته إذا أعتقد ما يشينها أو يحقرها .

في استطاعتها أن تندب من يتولى اشاعة هذا الوعي وأن تستعين بوزارة المعارف ليبث اساتذتها في مدارس البادية مثل هذا الوعى ويشنونها حربا على التقليد المشين الذى اصلته مئات السنين .

وفي استطاعتها بعد هذا أن ترشد الفارغين في البادية إلى بعض المهن اليدوية التى تدر عليهم الكسب فأكثر قراهم غنية بسعف النخل وفي استطاعتهم أن يتعلموا صنع عشرات الأواني منه في صورة أطباق و « وزبادي » و (تباسي) وأغطية ومواعين وأشياء كثيرة لزينة الرفوف والموائد بعد أن يلونوها بشتى الاصباغ ويعرضونها على الحجاج كنوع من (الانتيكات) .

إن مثل هذه المهن إذا تولى تعليمهم فيها بعض الفنانين الذين نندبهم إلى مدارس القرى ونعين لهم فيها حصصاً خاصة ستجد رواجاً بين الحجاج يغنينا عن الإلحاف بالسؤال ويصون كرامتنا وهي وسائل شائعة وأمثالها بين أكثر قرى العالم، فما يمنعنا أن نسابقهم إليها ؟!

(القبان) دار أبي سفيان

قرأت للزميل الأستاذ صالح جمال كلمة يدعو فيها إلى العناية بدار أبي سفيان كأثر له قيمته التاريخية بالنسبة إلى أول إشعاع شع في مهد الاسلام .

وأنا أشاركه الرأي ولا عبرة في رأيي ببعض الجهلة الذين ألفوا التمسح بالآثار أو جدارها فقد تقشعت الغياهب التى كانت تغشى أكثر بلاد الإسلام بعد انتشار التعليم في عصر النهضة الأخير وباتت أجيالنا الجديدة تفهم روح الفكرة من تخليد الآثار والحفاوة بها كتذكار ينطق بما سلف من أمجاد نستطيع أن نباهي بها دون أن نتمسح ونجعل منها نبراسا يبعث الأمل في ناشئتنا ليستعيدوا ماضيهم العتيد .

وإذا كان لي من رأى بعد هذا فاني اقترح أن لا تقتصر الفائدة من هدم دار أبي سفيان (القبّان) على بناء مكتبة فقط فارضة واسعة جدا وهى تقع في نقطة ممتازة من مكة مشرفة على المسعى وباب السلام وفي الإستطاعة أن نستفيد من موقعها الممتاز لعدة مرافق لها أهميتها .

نستطيع أن نخططها شوارع لينتظمها ما لا يقل عن مائة دكان أو أكثر ، كما نستطيع أن ننتفع تحت الدكاكين بممرات

واسعة نجهز فيها بعض المرافق لقضاء الحاجة، فالمسجد الحرام من هذا الجانب يستقبل ضغطاً شديداً لا يقل عن ثلث مايستقبله عموم المسجد لأن السكان والحجاج من أعلى مكة إلى نحو منتصفها يصبون في باب السلام كما أن جميع الساعين بين الصفا والمروة ينتهي سعيهم في هذا الجانب . لهذا فنحن في أشد الحاجة إلى بناء أكبر مرافق لقضاء الحاجة يتسع للعدد الهائل الذى يجمعه هذا الجانب من المسجد .

ولا يهيء لنا مثل هذا المرفق إلا مثل هذه الأرض في هذه البقعة الواسعة .

وإذا أنشأنا فوقه عدة شوارع استطعنا أن نوسع للتجار والباعة الذين فقدوا دكاكينهم في سويقة وغيرها وأن نضمن لصندوق الأوقاف مورداً له قيمته المادية .

وسوف يتهيأ لنا أن نبني فوق الدكاكين المكتبة الهائلة التي أصر الملك العظيم على بنائها عظيمة تليق بمركزها كمكتبة للحرم الشريف . فإن مساحة الأرض سوف لا تضيق بالتخطيط الفخم الذى ينويه الملك لها بل ربما اتسع لبناء بعض لمكاتب أو المعارض التجارية إلى جوارها لتعطي المكان ما يستحقه من بهاء .

ولا يعجزنا بعد هذا أن نبني فوقها عدة طوابق تنتهي إلى عشرة أو أكثر نستفيد منها لأزمة السكن بجوار الحرم ونبني بعضها كفنادق ثم نجهز لها واشقق السكن عدة مصاعد .

إن هذه البقعة الممتازة بمساحتها الواسعة وموقعها المحترم كفيلة بأن تهيء لنا وللبلاد والحجاج منافع كثيرة كلها وجيهة وناجحة فليت المعنيين بتخطيطها يجدون في اقتراحي ما يستأهل الدراسة .

ومن الخير بعد هذا فيما أراه أن تكون غلات الشوارع وجميع ما يبنى فوقها من طوابق وقفاً على المكتبة لتجد مصدراً ثراً سنوياً تنفق منه في صورة جد واسعة على شراء الكتب والمخطوطات .. فحرام على مكتبة تنسب لقبلة المسلمين أن لا تحتل مركزها من الصفوف الأولى بين مكاتب العالم في سائر أقطاره .

مما قالت الكتب

تحدثت كتب الأدب كثيرا عن غرام توبه بن الحمير (بتشديد الياء) بليلى الاخيلية وغرامها به .

وأورد صاحب الأغاني عن رجل يقال له ورقاء..القصة التالية قال :

سمعت الحجاج يقول لليلى الاخيلية إن شبابك قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبه فأقسم عليك إلا صدقتني .. هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك قط ؟ فقالت : لا والله أيها الأمير إلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر . فقلت له :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بهـــا
فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب ما ينبغى أن نخونه
وأنت لاخرى فارغ وخليل

فلا والله ما سمعت ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت .

قال لها الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟

قالت : وجه صاحباً له إلى حاضرنا فقال : إذا أتيت اتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هـــل ابيتن ليلة
من الدهر لا يسري إلى خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له :

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه
عزيز علينا حاجة ! ! ! لا ينالها

وأنا اتساءل لماذا لم يكلفه غشيان منزلها ؟ ايقال أنه يتعذر عليه لجهله الطريق ؟ أم لخوفه من القوم أن يسيئوه أو يسيئوها.

أسئلة عابرة أرى أنها من لزوميات القصة لتكمل حبكتها ؟

لئن قيل ليس في الأمر ما يخيف ولكنه جهل الطريق ففى استطاعة المندوب أن يسأل عن الحباء حتى يأتيه فيسر إليها وتسر إليه،وإن قيل إنه الخوف فأى أمان لرجل يهتف من شرف يطل على القبيلة ليبلغ الرسالة بصوت عال .

لعل القصة تريدنا لنفهم أن البيت من الشعر كان رمزيا لا تفهمه إلا بطلتنا ويغمض عن الباقين ؟؟ .. ولكننا نجد البطلة

تستجيب للهاتف في صراحة وترد عليه وفي ردها على هذه الصورة ما ينفى الخوف نفيا قاطعا ! !

لم نسأل بعد كيف وضحت حروف المنادى وهو يصرخ من الشرف العالى فوق القبيلة وعهدنا بالصراخ يبدد أكثر الكلمات .

ولم نسأل كيف تم لها أن تبلغه جوابها من بين المنازل ، وعهدنا بمثلها لوصرخت من داخل الخباء أو من عرصته خارج الخباء فليس من السهل أن تبلغه كلماتها ولو ببعض الوضوح .

ألا يبدو في القصة ما يجرح سياقها ويدل على تهافتها ؟؟ أم يتعين علينا ألا نتعمق في تدقيقها .. فحسبها أنها قصة لا أكثر ! !

الواقع أنها قصة ! ! ولكن ما رأي الفاهمين أن أكثر مقدرات تاريخنا أوردتها الكتب قصصاً على مثل هذا الغرار ثم ما لبث التاريخ أن احتضنها كعنصر من عناصره الأساسية .

ترى إذا أبينا إلا أن ندقق جميع ما انتهى إلينا من فصول التاريخ وندرسه دراسة واعية لننفي كل ما يتهافت أو يجرح

السياق . فالى أي حد يمكننا أن نستصفي ما يصح اعتماده من تاريخنا ؟؟

– اللهم لا أدري ! ! !

نحن وهم .. في ميادين التنافس !

من أطرف ما قرأت عن الانتخابات الألمانية الأخيرة أن الأحزاب في المانيا الاتحادية عقدت اتفاقا فيما بينها يحدد شكل الاجراءات الانتخابية ويحد من وسائل التنافس ولا يبيحهم دخول المعركة إلا بالوسائل الشريفة.وقد جاء هذا الاتفاق في ١٢ فقرة تناولت أهم ما تناولت الإقلال من النفقات المالية في سبيل بث الدعاية فتحظر وسائل الاعلان والدعاية بالطائرات من كتابة العبارات في السماء بواسطة السحب الصناعية كما تحظر الدعاية في محطات الاذاعة والتليفزيون تفادياً من دفع الرسوم الباهظة التي ترهق الجيب الألماني وان لا توزع النشرات على البيوت بطريق البريد ولا الاعلانات بواسطة الصحف والمجلات إلا في أوقات حددتها الاتفاقية وان لا تشرع الاحزاب في اقامة لافتات الدعاية إلا في أماكن قررتها الاتفاقية وحددت مواعيدها .

إلى آخر ما جاء في الاتفاقية مما يدلل على ميزة الوعي الألماني ومبلغ إدراكه لحقيقة الحياة البرلمانية التي يعيشها والحقائق العالية التي يعنيها أسلوب المنافسات .

فليت بلاد الشرق التي لذ لها تقليد الحياة البرلمانية تدرك الحقائق الدقيقة التي تنطوي عليها معاني حياة البرلمان .

ليت اخواننا وهم يتطرفون في الأخذ بأسباب الدعاية لأحزابهم فيتبارون في بذل الملايين وربما أباحوا لبعض المهتمين بنتائج انتخاباتهم من الأجانب والجيران أن يتعرضوا لشراء الأصوات في السوق العامة ليضمنوا صداقة النواب الفائزين .. ليتهم وهم ينفقون بشتى الوسائل ومختلف الاساليب ويعرضون مواطنيهم لأقسى أنواع الشقاق والمنابذة ويضحون بعشرات القتلى ومئاتهم في سبيل فوز مرشح أو سقوطه .. ليتهم يعلمون أن حكمة الحياة النيابية قامت لغير هذه الاغراض .. وليت غيرهم يعرف أن عنايتهم بالانتخاب الصناعي الذى يوجه الناخب ويفرض عليه الوسيلة ويعين أمامه النتيجة ليست إلاأساليب تسيء إلى روح الأمة وتفقدها أصالتها وتهيئها للحياة الزائفة التي لا يتحقق باسبابها أى تقدم .

ليسوا سواء في هذه الحياة أمه تشترط الوسائل الشريفة في معاركها الانتخابية وأخرى لا يهمها إلا أن تظفر بالنتائج مهما كانت وسائلها .

ولا يقتصر الأمر على معارك الانتخاب فيما أرى فميادين العراك سياسية كانت أو تجارية أو علمية أو أدبية لا يهيئها

للنجاح شيء كما تهيئها الدراسة الصادقة. أمامنا اليوم مثل قائم في ميدان التجارة طالما شهدنا فيه أفراساً لا يهمهم إلا أن يتنافسوا دون أي اعتبار لما تقتضيه الدراسة الصائبة والنظر الصادق حتى جاء التنافس على أهم مقوماتهم .

وأمامنا مثله في ميدان الطوافة ومثله في ميدان المناقصات وغيره في غير ذلك من شتى ميادينا المحدودة .

ما أحلى أن يتعاقد المتبارون على أن لا يؤذوا مصالحهم ولا يسيئوا إلى مقدرات بلادهم ولا يهدروا أنفسهم وأموالهم وأن يتبصروا العواقب قبل أن تخر السقوف من فوقهم وهم لا يشعرون .

لا مستحيل في هذه الحياة فكل ميادين التباري والمنافسات في البلاد الراقية نظمت في أشكال تصون مقدراتها وإلا لأغلقت المصانع والورش وبيوت التجارة وسائر الاعمال التي تتعرض للاحتكاك جميع أبوابها .

إن التنافس في كل ميادين الحياة لا يعني التدابر والمضاربات المدمرة فيتعين على المتنافسين في كل مجال أن لا يفارقوا عقولهم ليثبت الرجل منهم أنه الوحيد القادر .. إنه شطط يجب أن يتلافاه عقلاء المتنافسين فيقيدوا مضارباتهم بوسائل شريفة تنظم أعمالهم ولا تسيء إلى المستفيدين في الميدان .

عند ما تتأخر قوافل الحج

مما يلاحظ من شئون مواسمنا في السنوات الاخيرة أن حجاجنا بات يلذ لهم كثيرا أن يتباطوْا ما استطاعوا في قدومهم إلينا سنة بعد أخرى حتى لأكاد أوقن بأن السنوات الآتية سوف لا نستقبلهم إلا بعد إهلال ذى الحجة أو قبيل يوم التصعيد .

ربما كان عذر الاغلبية الساحقة منهم أن الحج عرفه فما عليهم إذا تباطوْا في انتظار آخر اسبوع أو حتى آخر يوم يشرق في نهايته صبح عرفه .. وما دامت وسائل النقل أصبحت أمامهم سهلة ميسورة فما يمنعهم أن يختزلوا مدة اقامتهم إلى أدنى حد ممكن توفيراً للوقت واقتصاداً في النفقة .

لقد مضت الأيام التي كان الناس فيها ينظرون إلى الحج نظرتهم إلى متعة روحية يحاولونها لتطول بهم في أماكن القداسة ينسون في غمارها جميع مشاغلهم الحياتية وينصرفون بقلوبهم إلى العبادة والابتهال وكسب المزيد من الحسنات كتعويض عما أسلفوا في حياتهم .

مضى كل هذا بمضي السنين وحل محله جديد لا يعنيه من أمر الحج إلا أن يقف يومه في عرفات ولا يكاد يزدلف إلى

منى حتى يهيب بمطوفه أن يساعده في النفقة وإذا استطاع ذلك في أول فوج فتلك منة لا تقدر عند الحاج بثمن ! !

ونحن إذا صرفنا النظر عما لا شأن لنا به من خصوصيات الحجاج فان مانعانيه حكومة وشعبا من زحامهم في اسبوع الحج أصبح شيئا لا يطاق احتماله .

فبواخرهم تنهال أكثر ما تنهال في أيام هذا الاسبوع فتضيق الميناء على سعتها بعشرات الألوف تتقاطر في تتابع مستمر فيعاني الموظفون والمكلفون باستقبالهم وتوزيعهم وقيد أوراقهم وترحيلهم من الشقة والسهر والإرهاق ما يتجاوز طاقة البشر .

إذا اضفت إلى هذا ركاب الطائرات التي تهبط المطار باكثر من عدد ساعات النهار والليل تحمل الأفواج تلو الأفواج وألحقت به ألوف السيارات التي تسيل بها سائر الطرقات إلى مكه وما تفيض به البوادي من ركبان أو مشاة ظهر لك مدى ما تقاسيه البلاد حكومتها وشعبها موظفوها ومطوفوها وسائر المكلفين بمرافق الخدمة في مجال الحجاج من نصب وإرهاق خلال أسبوع الحج .

إليك مثل واحد .. كان المطوفون فيما مضى من سنيهم يستقبلون حجاجهم في أناة فلا يأخذ الفوج من القادم برقاب

ما قبله .. وكانوا إذا أهل شهر الحجة يحصون ما في بيوتهم من عدد الأشخاص ولا يعجزون عن تقدير ما ينتظرونه في اليومين الآتيين وبذلك يعدون عدتهم للترحيل والخيام ومايلزم للترحيل والخيام من عدة وخدم فيمضون أياما هادئة هانئة .. أما اليوم وقد زلزلت الطائرات السريعة والبواخر القوية علينا أرضنا فقد أصبحنا في غمرة من الزحام المفاجىء فلا غرابة إذا ارتبك موظفونا واضطرب حساب مطوفينا وضغط التدافع على سائر مرافقنا واسواقنا وبيوتنا .

إني اقترح على أصحاب الأمر أن يحاولوا تخفيف هذه الوطأة ما أمكنهم ذلك فيعلنوا إلى أصحاب شركات البواخر والطائرات وسيارات البر بأن لا يقلوا ركابهم إلا إلى يوم محدد يعينونه ليكون كافياً لاستقبال الحجاج في عناية لا يرهقها الزحام .

إننا بذلك ربما حملنا الحجاج في سائر أقطارهم على أن يفكروا في رحيلهم مبكرين ما استطاعوا وبه نمنح الفرصة واسعة لسائر المختصين بالخدمة في سائر مرافق الحجاج بأن يؤدوا واجباتهم في تؤدة تساعد على راحتهم .

امتحانات طلبة الثانوية .. أيضاً !!

ترى ماذا فعلت وزارة المعارف ؟

لقد أبلغناها شكوى أبنائها من اجتماع مادتين صعبتين في يوم واحد ورجونا إليها أن تتفضل فتعيرهم لفتة تساعدهم على اجتياز الإمتحان في يسر .

أبلغناها شكواهم وكان من رأيي الشخصي أن يطمئن أبناؤنا لأن مطالبهم كان يبدو عادلاً أمام من يتصفحه ولأن العاملين في وزارة المعارف خير من يتفهموا المطالب العادلة .

.. ولكن .. ترى ماذا فعلت وزارة المعارف ؟

لقد زارني بالأمس نفر من الطلبة يسألونني هل تلقيت شيئا نستبشر به بعد أن باتت أيام الامتحان على الابواب ؟

قلت : لست أنا الذى اتلقى جواب شيء كهذا .. ولكن امضوا إلى إدارة التعليم لتنبئكم بما جد في الأمر .

قالوا : ليس في إدارة التعليم جديد ! !

قلت : هذا لا يمنع أن تطمئنوا فربما كان الطريق يحمل إليكم هذا النبأ الجديد فانا لا أتصور أن المسئولين في وزارة

المعارف عن جداول الإمتحان يقرأون كل هذه النداءات دون أن يعنوا بما جاء فيها ..

يجوز أن ما يبدو أمامكم وأمامي بل وأمام كل من كتب في شأن شكواكم لا يزيد عن جانب واحد في المسألة وان هناك جوانب أخرى ذات مساس خاص نجهله ألزمت المسئولين في وزارة المعارف أن ينجهوا ما نهجوه في توزيع الجدول ..

يجوز هذا .. ولكن الذي لا يجوز في رأيي أن يسكت المسئولون على ما عندهم دون أن يبدوا ما يرونه سبباً وجيهاً لموقفهم تطميناً لابنائهم وعناية بالصحافة التي احتضنت ما رأته حقيقاً بالاحتضان ..

من أجل هذا أرى أن تطمئنوا .. سيوافيكم الطريق بما يقنعكم أو يكشف عنكم .. ستقرؤون غدا بيانا يعلن استجابة الوزارة لما تشكون أو يفصل لكم وجهة النظر التي جهلناها وإياكم ..

ذلك لأن الوزارة تعرف واجبها نحو أبنائها كما تعرف حقوق الصحافة عندها .. كما يعرف المسئولون عن الجداول

أن سكوتهم على ما عندهم لا يتفق مع ما ألف الناس من سجاحة وزيرها الشاب وعنايته بشكاوى الناس ومياه لنصفة من يستحق النصفة .

في الطواف

إن كثيراً من أفكار الحياة تحيرني فلا أفهم لها معنى .

يذكرني هذا ما أشهده من ضوضاء الطواف وجلبته التى تقضي على هدوء الطائف وخشوعه ومتعته بالاتصال بربه .

إنني أفهم معنى أن يصرخ المطوف وهو يتقدم حجاجه في الطواف ليسمعهم الكلمات التى يتلقنونها واضحة . أما الشيء الذى لا أفهمه فهو متابعتهم إياه بنفس الصراخ .

إذا كنا نجيز له أن يصرخ لانه مكلف بإسماع من خلفه وربما بلغ عددهم إلى العشرات ، فهل كان تابعوه مكلفين مثله بإسماع أصواتهم إلى أحد ليجيزوا لأنفسهم هذا الصراخ الذى يملأ المطاف جلبة وضوضاء ويقطع على الخاشع لذته الهدوء في طوافه .

أرى أنه أمر في أشد الحاجة إلى نظر الجهات المعنية بالدين . فاذا بدا لها أن من الخير للحجاج أن يرددوا مايسمعونه من مطوفيهم في ذات سرهم دون أن تصحبه أصوات صارخة فان في استطاعتهم الايعاز إلى وزارة الحج لتكلف المطوفين

بالتنبيه على حجاجهم قبل كل طواف أن لا يرفعوا أصواتهم فيما يتلقنون وأن يعيدوا ما يسمعونه سرا دون أن تجهر به أصواتهم .

ويلفت نظر الطائف في اسبوع الزحام كثرة الأوساخ في المطاف على الرغم أن المشهود لأغوات المسجد عنايتهم بالكنس والتنظيف في صورة مستمرة ولكن الزحام الذى يأبى إلا أن يغلبنا على كل شيء لا يتركنا حتى في المطاف، ولو قدرنا لهذا حقه لاستطعنا أن نعد للشيء عدته بفرض نوبة على بعض المختصين من الأغوات ليتعقبوا الأوساخ في أيام زحام الطواف ويحاولوا إزالة أهمه ما استطاعوا سبيلا إلى ذلك، فان من يشاهد أوساخنا في ذلك اليوم ربما حكم على قصورنا ونسي جميع جهودنا المضنية في سائر أيام السنة .

ولا تقتصر الأوساخ في أيام زحام الطواف على المطاف بل إن أكثر زوايا المسجد ومشاياته وأركانه تجمعت فيها كثير من أوساخ الحجاج حتى احيلت إلى مناظر تكتئب لها النفس فلو عنيت إدارة المسجد بانتداب مراقبين لا يملون من الزحام ليشرفوا على نظافة المسجد لظهرنا أمام الحاج بما يشرفنا .

ويبدو أن المعنيين بدار الرعاية غفلوا في غمرة الزحام عن المتسولين في المطاف أيام الزحام ، فقد شوهدوا يعرضون

عاهاتهم للطائفين وربما كان الحاج معذورا إذا انتقد ما يشاهده وهو لا يعلم ما نبذله لهم وما ننفقه على اعاشتهم في دار الرعاية .

إلى سيداتي

جاءنى من جمعية اليقظة النسائية بالطائف خطاب يلفت نظري إلى أن مكتبة الجمعية في حاجة إلى مساندة الأدباء وغير الأدباء ليتبرعوا لها ببعض الكتب التى من شأنها أن ترفع مستوى المرأة السعودية ثقافيا .

إلى أن يقول الخطاب : وقد وجه الدكتور عبد الله مناع نداء من شهرين تقريبا إلى الأدباء وغيرهم يحثهم فيه إلى المساهمة بتزويد المكتبة بشيء من ذلك .. ولكن للأسف ! ! لم يصل إلى مكتبة الجمعية حتى تاريخ كتابة هذه الرسالة أي كتاب إلا أن مؤسسات الصحافة يصح أن تستثنى من ذلك فقد تفضلت جميعها بارسال صحفها إلى الجمعية عدا جريدة عكاظ .

وفي خطابهن يرجون إلي المساهمة في نداء الأدباء وغيرهم على أمل أن لا يبخلوا بتبرعاتهم وان يساعدوا الجمعية بما يساهم في رفع المستوى الثقافي بين اعضائها .

إلى هنا ينتهي ما جاء في خطابهن . أنا شخصياً أشعر دون شك أن من حق فتياتنا الناهضات على مثلي أن ينادي بضرورة

مساعدتهن ومن حقهن كذلك على أدبائنا ورجالاتنا وسائر هيئاتنا الثقافية رسمية كانت أو أهلية أن لاتضن على جمعية كهذه تطالب بحقها في النور والمعرفة بما يضيء أمامها الطريق ويهيئها لثقافة الأمم الناجحة .

على أنى بعد هذا الرجاء يهمني جداً أن أعلق على أسف الجمعية الذى ساقته إلى أدبائنا وغيرهم وإلى جريدة عكاظ في عتاب مؤدب رقيق لأقول لها أن شان عكاظ لا يزيد — فيما أعرفه من زملائي — عن نسيان لا أكثر وأن في استطاعة الجمعية أن تذكر أصحابها بخطاب يعاتبهم وستجد الزملاء عند حسن الظن .

أما الأدباء فأمرهم أدق من هذا .

أي سيداتى

إن الأديب ضائع وأخص بالذكر منهم اخواننا المؤلفين . ولولا خوفي أن اشق على أمثالكن لأهبت بكن أن تتفضلن بتشجيع مؤلفاتهم :

لعلكن لا تعرفن أن المؤلف منهم يرهق أعصابه شهورا أو سنوات إذا اقتضى الأمر حتى إذا انتهى من التأليف والطبع تحول إلى سائل يستعطي من يساعده على الثراء

لا ليتقاضى أتعاب الشهور والسنوات التي عاناها في التأليف بل حسبه أن يستعيد ما أنفقه كرأسمال .

إن استعادة رأس المال يا اخواتي دونه خرط القتاد، فأكثر المؤلفات لا ينفد ربعها أو نصفها إلا بعد جهد شاق وليتنا نتركه بعد هذا لما يقاسي فان هيئاتنا ومدارسنا وما أكثرهم ، واصدقاء الزمالة والقراء والقربى كذلك وهم ربما تجاوزوا المئات .. كل هؤلاء يشعرون أن من حقهم على المؤلف أن يهديهم مؤلفه .. لهذا فهو ضائع .. وهو خليق بالتشجيع .

وإذا كان لي من رأي عند الجمعية فهو أن لا تكتفي بنداءات الصحف ،ومن الخير لها أن تحرر خطابات خاصة بالبريد إلى المعروفين بالأريحية من أصحاب الثراء في بلادنا ليتبرعوا لها بشراء الكتب وأن تطلب إلى وزارة المعارف وإلى القائمين على مطبوعات الملك المعظم ليزودوها ببعض ما في خزائنهم من الكتب الموقوفة على مثل ذلك .

حرفة السباكة .. وشبابنا

تتداعى المعاني في ذهني بمناسبة ما كنت كتبته عن تكتلنا على أبواب الوظائف فتذكرني بما وقع لي شخصيا قبل اسابيع ، فقد قيل لي في البيت أن المياه غمرت أرض الحمام حتى تعذر دخوله فاسرعت إلى التلفون أرجو إلى صديق لي من أصحاب المعارض التى تبيع أدوات الحمام أن يسعفنى بأحد السباكين من عملائه ليصلح مافسد في الحمام فغاب نحو ساعتين ثم طلبنى ليؤكد لي انه أرسل في طلب عدة أشخاص يعرفهم فوجد الجميع مشغولين أو غير موجودين وأنه يرى أن انتظر إلى صباح اليوم التالي، ولكن انتظاري إلى صباح اليوم التالي أمر لا يمكن احتماله بعد أن طفحت بالوعة الحمام . فكلفت سائقي أن يبادر فيجول بسيارته على كل المظان التى يؤمل أن يجد فيها سباكاً وأن لا يحضر من غير سباك مهما كلفه الأمر .

وأشهد أنه كان يومها على غير ما عرف الناس من مزايا السائقين إخلاصاً وبراعة فقد صافحني وجهه بعد غياب أكثر من ساعة ونصف ساعة وهو يتنزى عرقاً فقلت مهيم ؟؟ لعلك سبع ؟؟

فرفع صدره في عظمة المدل بنفسه وقال : سبع وأى سبع ! ! فقد غربلت البلد غربلة حتى وقعت لك على حضرته ! !

وطالعني وجه حضرته من أول درجة السلم وإذا شخصية تستاهل بحق أن تكون من أصحاب (الحضرات) تحتويها بذلة فيها كبرياء دكتور وأناقة وجيه .

ولا اكتمكم أن شيئا من الخجل انتابني وأنا أصافح وجاهته وأتقدمه إلى الحمام . ولكنه ما كاد يقف على عتبته حتى نسي بزته الأنيقة وبدأ يشمر عن ساقه ليغوص في لجة الماء الطافح ، وعن ساعده ليزج به في البالوعة دون أن يتوقف في انتظار أداة أو حتى قطعة من حديد أو خشب تقيه غثاء البالوعة وأوساخها .

ولم تمض إلا دقائق حتى شرعت المياه الطافحة تأخذ مجراها دون أن يبدو على وجهه الشارق أى أثر للتأفف أو الاشمئزاز الذى تعودناه في كثير من ملابسات أعمالنا .

لا يعرف إلا الله كم أكبرت فيه هذه الرجولة الناضجة !

وما كدت أغيب عنه دقيقة حتى استوى أمامي نظيفاً في بزته الوجيهة وقامته الانيقة فتقدمت إليه بأتعابه وأنا جد

مسرور .. وكانت أتعاباً لا تقل عن اتعاب طبيب يستقدمه إلى البيت أي مريض لعيادته .

ليت شبابنا الذي فاته ركب التعليم يدرك قيمة أمثال هذه الأعمال الحرة ويعرف أنها لا تقال شيئا من مركزه أمام لداته وأنها خير ألف مرة من أن يعيش (سبهللا) بين البيت والمركاز لا أمل له إلا في عمل فراش أو مراسل .

بل ليتنا نعرف أن التعليم لا يصح أن يكون حائلاً بين الشاب وعمله في أي مجال.فأمثال هذه الحرف في سائر بلاد العالم ليست وقفا على الاميين فالأمية عندهم تكاد أن تكون ندرة بين الناس،وأكثر المتهنين لأمثال هذه الحرف لا يقل مستواهم العلمي عن أكثر أندادهم من الموظفين .

إن المحترف في أمثال هذه المهن في العالم الراقي يشعر أنه سيد نفسه وأن قيمته الشخصية رهن بكفاءته في موارد الكسب

ليت وعاظنا فوق المنابر يضيفون إلى نصائحهم وصايا تبين مزايا الرجل الكسوب وأثره في دعم نهوض بلاده وإعزازها .

الى المريخ . . فركة كعب ! !

نشرت في عام ١٣٧٣ هـ في جريدة الندوة .

أذكر أني قرأت من نحو عشرين سنة قصة معربة من اللغة الصينية جعل المؤلف بطلها بروفيسورآصينيا تعمق في دراسة الفلك اللاسلكي واستطاع أن يتصيد بعد مراقبة طويلة بعض الموجات اللاسلكية التي استغرب اشارتها فواظب على تتبعها في أوقاتها وجاهد كثيرا في تطبيق الاشارات حتى استطاع أن يعين حروفها وما تعنيه فأخذ يتجاوب مع مصدرها حتى عرف أنه في كوكب المريخ :

لقد ضحكت يومها أشد الضحك لا للفكرة الغريبة التي تخيل المؤلف فيها وجود عوالم تسكن المريخ وترسل إلى الأرض موجات لاسلكية تؤمل أن تتجاوب معها أحد من سكان الأرض .. لم أضحك لهذا فقط بل ضحكت وأغرقت في الضحك لأن البروفيسورالصيني اكتشف كما تقول القصة جميع الاحداث في كوكب المريخ تستأنف وقائعها في الأرض بعد أسبوع واحد من وقوعها في كوكب المريخ ، فلو قامت الحرب بين اليابان والصين لكان معناه أن مثل هذه

الحرب قامت بين نفس الدولتين في المريخ قبل وقوعها بأسبوع واحد .

وتتوسع القصة حتى تجعل البروفيسور يثري ثراءً فاحشاً بسبب اكتشافه فهو يتلقى أخباراً عن ارتفاع أسعار النقد في البورصة أو أسعار سهوم مصنع كبير للصلب في المريخ فيسارع إلى بذل الملايين في سبيل الشراء ثم ينتظر أسبوعا ليعرض ما اشتراه للبيع فيحقق أرباحا لا تقدر .

لذت لي القصة يومها لا لإغرابها في الخيال بل لأن الإغراب كان محبوكاً بشكل نادر ينسيك نصيبه الواسع من الخيال .

تذكرت كل هذا من أيام وأنا أقرأ في جريدة الندوة نبأ اكتشاف حضارة تقدمية في الكواكب وصراع علماء الأرض على صحة النبأ بين النفي والاثبات .

يقول النبأ إن العالم الروسي جنادى شولوميتسكي لاحظ انطلاق موجات من مصدر مجهول وان دكتوراً روسياً آخر هو نيكولاى كارداشيف قال : إذا كانت موجات (ستا — ١٠٢) هى مصدر اصطناعي لموجات لاسلكية فانها ولا شك ستأتي في أعقاب اشعاعات منتظمة ، وقد بات يجزم بهذا ويقول :

إنه تم اكتشاف حضارة متقدمة للغاية .. وإن علماء روسيين آخرين دققوا في نتائج مراقبة العالم شولوميتسكى وقالوا إننا نواجد ما قد يكون أهم اكتشاف في تاريخ علم الفلك اللاسلكي، كما أن عالماً أمريكياً يقول : إن موجات (ستا — ١٠٢) لا يمكن أن تكون من صنع إنسان .

إلى أن يقول النبأ : ومع هذا فقد أبدى علماء أمريكيون آخرون تحفظهم وقال بعضهم إنه ليست هناك بينة كافية وإن قول الروس عن وجود حياة في الفضاء الخارجي بعيد الاحتمال

قرأت هذا فتذكرت الخيال الخصب الذى أضحكني من عشرين سنة ووجدتني أتساءل هل يعيد التاريخ حكاية الذين تخيلوا الطيران على بساط الريح قبل حدوثه بعدة قرون وتخيلوا إلى جانبه مئات الاجهزة التى نتمتع اليوم باستعمالها !

ترى هل تعتبر قصة البروفيسور الصيني الخيالية إرهاصا لاكتشافات لا يعلم إلا الله مداها .. وهل يكتب غداً لأحد أحفادي أن(يفرك كعبه)في مشوار قصير إلى أحد الكواكب كما نفرك اليوم كعوبنا إلى أمريكا وكانت قبلنا وراء حدود المجهول .. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا .

عند ما يتباهين بمالا يملكن !

نشر في جريدة الندوة عام ١٣٧٢ هـ .

ذكر لي – والعمدة على راوي الخبر – انه : في احدى حفلات الزواج كانت المدعوات من سيداتنا يشكلن معرضا واسعا من معارض الحلي والمصوغات والأحجار الكريمة تتلألأ بها نحورهن وصدورهن وأيديهن .. وانه كان بين الحاضرات سيدة مثقفة من إحدي جارات بلادنا الشقيقة أناطت بنحرها قطعة واحدة يتدلى من سلسلتها الرفيعة حجر كريم متوسط القيمة فلم ترق هذه البساطة لسيداتنا الفاضلات فأخذن يتغامزن على الضيفة في شيء من السخرية والاستخفاف الضاحك .

وشعرت الضيفة بما يبدين فلم تعره اهتماما أول الأمر ولكن الحالة مالبثت أن تفاقمت واتسعت فما ملكت الضيفة أن وقفت تهيب بهن : لقد صبرت طويلا على غمزاتكن وأنا أؤمل أن يتبين لكن وجه ما تغمزن على حقيقته .. انكن تسخرن مني لأني لا أملك إلا هذه السلسلة الرفيعة التي ألبسها وكان يحسن أن تسخرن من أنفسكن وأنتم تعلمن أن أكثر كن لا يملكن أكثر الحلي التي يلبسنها ! !

قالت هذا ثم عادت إلى مجلسها ساكتة فلم ينبس أحد منهن ببنت شفة كأنما شعرن بحرجهن أمام الحقيقة الفاضحة .

وهل ثمت ما يحرج أكثر من هذا ؟ ..

إن سيداتنا يتباهين بأشياء يعرفن أنها آخر ما يصلح للمباهاة .. انهن يعمدن إلى الاستعارة من بيت فلان أو الاجارة من دكان علان حتى إذا أثقلن صدورهن ونحورهن بالثمين الغالي مضين يتهادين متباهيات في الحفلات والمناسبات ، بما لا يملكن .

وأغرب ما في هذا أن السيدة لا تكاد تتهادى بما تتحلى والتعليقات : (شوفي يا اختي هذا عقد فلانه وهذا الطوق مستعار من بيت فلان .. وهذه (اللبة) يؤجرها الدكان الفلاني

ولا تكاد التعليقات تقتصر على الواحدة منهن أو الاثنتين في المجلس بل كثيرا ما تشمل أكثر الحاضرات .

اذن فهن يباهين بأنهن عارضات أزياء لا أكثر وهي (تقليعة) لا أدري كيف تستسيغها عقولهن .. وكيف يتذوقنها وليس فيها شيء من أصول الذوق .

يصح للسيدة أن تباهي بحلية تملكها تدل على متوسط ثروتها كما تدل في الوقت نفسه على دقتها وحسن ذوقها في

الاختيار . أما أنها تبدو وكأنها موديل تجاري لعرض اللامع والبراق من أموال الناس فهذا آخر ما يستسيغه الذوق الاصيل.

أنا لا يعجبني أن أتجنى على السيدات وليس بينهن إلا أختي أو ابنتي ولكنه لا يرضيني في الوقت نفسه أن يشايعن (تقليعة) فيها من غثاثة الذوق ورداءة التكلف ما يسيء إلى سمعة بيوتنا .

إن السيدة الراقية في أي بلد متمدن باتت اليوم لا تتحلى بأكثر من حلية واحدة فيها كثير من البساطة غير المتكلفة .

وباتت إلى هذا تستنسب من الاصناف المقلدة ما يوحي بميلها إلى البساطة وأنها تعتمد على جمالها ورقة أنوثتها أكثر مما تعتمد على البهرج المتكلف .

إني هنا أكرر رجائي إلى رائدات نهضتنا النسائية آملاً أن يتقدمن الصفوف للقضاء على أمثال هذه التقاليد الجاهلة فليس أقدر منهن بالقضاء عليها .

شبابنا « الموضة » !

— ١ —

في خطاب من الأخ محمد عبد الله يقول ما معناه : « إن ميوعة الشباب العربي عامة مشكلة يجب أن ندقق فيها النظر .. إنه يعرض عن كل القيم المثالية ، منهمك فيما يعود عليه بالضرر .. فهل من سبيل لعلاج هذا الداء ؟ » .

والموضوع في رأيي ذو شقين .. شق يتعلق بفتنة الشباب (بالموضات) .. وشق يتعلق بما يستهويه من محدثات يعود عليه بالضرر .

فاذا نحن أردنا أن نبحث أمر (الموضات) اختلط علينا أمرها وربما تعذر الفصل بين الحسن والرديء منها فيحسن بنا قبل أن نتعمق في أمر (الموضات) أن نتعرف على علاقتها بالحياة ! !

من المسلم به أن الانسان منذ وجد على الأرض بدأ يخترع لنفسه قيما اجتماعية ويعطيها مركز التقدير من نفسه . كما أن من المسلم به أن جميع ما تعارف عليه من قيم عاش غير

ثابت .. فهو يخضع على الدوام لحركة مستمرة من التغيير والتبديل .

ولتقريب الأمر لا نريد أن نبعد كثيراً .. فنحن من خمسين عاماً أدركنا القيم الاجتماعية تفرض على الحلاق أن رأسك بموساه ليبدو ناعماً لا أثر فيه لشعرة واحدة .. وأدركنا الحزام يمسك وسط الرجل كشرط للرجولة فيما تعارفت عليه القيم الاجتماعية .. وأدركنا ساعة اليد كأسلوب من الميوعة تنبذه القيم الاجتماعية .. بل وأدركنا جيلاً كان يناضل في سبيل هذه القيم وينقد في حماس وحرد أي عبث بها .. فماذا حدث ؟

أبت الحياة إلا أن تسير سيرتها فتمضي خاضعة لسننها في تغيير الأنماط وتبديلها فاذا نحن ننبذ الحلاقة الناعمة في الرأس، ونستهين بالحزام كرمز للرجولة فنقصيه عن خصورنا ونعطي الساعة في معصم اليد قيمة اجتماعية لا تتفق مع ذلك الحرد الذى واجهته يوم سميناها ميوعة واعتبرناها عبثاً بالاخلاق .

هذه أمثلة لا يميزها عن غيرها إلا أنها كانت قريبة المتناول نستطيع أن نقيس عليها مئات من أمثالها .

وهى أمثلة تستطيع أن تثبت لنا أن قيم الحياة لا تستقر على ثبات .. وأن كل قيمة جدت على وجه الأرض من يوم

خلقت الأرض كانت يوم جدتها (موضة) وكان في الميدان من أصحاب القيم القديمة من يستنكرها في حماس وحرد .. ثم مالبثت هذه (الموضات) أن أخذت مع الأيام دورها في الصدارة بين القيم المثالية لينشأ عليها من يغضب لتغييرها وربما سمي العبث بها ميوعة وسمي الخروج عنها إلى أي (موضة) خروجاً عن القيم الاجتماعية .

لا أريد بهذا أن أحبذ كل أعمال الشباب و (موضاتهم) ولكني أريد أن أقول إنه يتعين علينا أن ندقق بين الحديد الذى خضع لسنن التغيير والتبديل كما خضع أمثاله في سائر الاجيال قبله وبين الرديء الذى يتعين أن نحلل نوع رداءته ومبلغ ما يستحقه من مقت لئلا نفسر غيرنا على مثلنا الخاصة وقد خلقوا لغير زماننا ــ فالى عدد قادم .

شبابنا «الموضة»

— ٢ —

قلت في كلمتي السابقة إنني لا أحبذ كل جديد افتتن به الشباب وإنني أرى أنه يتعين علينا أن ندقق بين الجديد الذي خضع للتغيير والتبديل كما خضع أمثاله في سائر الأجيال قبله وبين الرديء الذي نستطيع أن نحلل نوع رداءته .

وأريد أن أقول اليوم إنه مر بنا عهد كان ضعيف النظر لا يجرؤ على لبس النظارة لأنها شيء مقيت مائع في نظر القيم الاجتماعية يومها .

وإذا عرفنا اليوم أن علم الطب يوصي باستعمال النظارة عند أول بادرة تشعر فيها بضعف مهما كان بسيطا في نظرك لتتلافي استمرار الضعف ، ظهر لنا إلى أي حد كانت القيم الاجتماعية تتسرع في مقت النظارة كشيء جديد وتفرض فيها معنى الميوعة بتأبط شرا .

واذكر أني في أول عهدي بالشباب لبست الساعة في معصم يدي أول مالبستها وكان وضعها جديداً علينا فسخر بي شخص كان من أشد المحافظين على ما تعارف عليه الناس من

قيم وراح يمسخني بكلمات تعافها الأذن إلى أن قال لي وما يمنعك أن تلبسها في رجلك .

ولكني وجدتني لأول مرة أجرؤ على مجابهته في عناد وأشير إلى الساعة التى كان ينيطها بشريط من فتل الحرير إلى جيده ثم يجمعها في (عياقة) إلى جيبه وأنا أقول : لا يجب أن تنسى أن أجيالاً كانت قبلك تنظر إلى طريقتك هذه في اتخاذ الساعة .. بل إلى الساعة نفسها نظرها إلى حدث ممقوت تستنكره القيم الاجتماعية، حتى إذا نشأت أنت كانت سنة الحياة قد استطاعت أن تلاشي تلك النظرة وأن تهيء الساعة وأسلوبك في لبسها للصدارة بين القيم ذات المثال الاجتماعي. فأنت اليوم تعتز بما نشأت عليه من القيم وتدافع عنه في غضب وفي دفاعك عنه دفاع عن ذاتك ثم تنسى في نفس الوقت أن ما تدافع عنه كان مقتاً عند من سبقك ثم تأبى إلا أن تجرحني لما جد عندي ولا تدري أن ما تجرحني به سيغدو في أحد الأيام وقد احتل مركزه محترما بين ما تتعارف عليه القيم .

قدمت كل هذا لأقول : « ليست كل (موضة) ميوعة وليس كل جديد على القيم التي تعارف عليها جيل سابق يصح أن يستحق مقتنا أو ازدراءنا .

إننا بهذا نحاول أن نعرقل عجلة الحياة في سيرها .. وهي محاولة عابثة ربما أسلمتنا إلى دواليب العجلة لتدوسنا دون أن تتوقف العجلة لحظة عن السير .

ليس من حقنا أن نجعل جميع القيم الاجتماعية التي تعارف جيلنا عليها مقياساً لكل ما جد على الشباب من (موضات) فنأمرهم أن يحلقوا رؤوسهم ناعمة بالموسى أو نسميهم مائعين .

علينا أن نحقق ما نمقته فلا نخلط بين ما نكرهه لبعده عما تواضعنا وبين آخر نكرهه لعلة ثبتت رداءتها ! !

أننا ونحن نفعل هذا نعلّم الشاب كيف يقدر تمييزنا وسعة آفاق الفهم عندنا .. كما نعلّمه كيف يحترم آراءنا ولا يستهين بها فيعصيها ويتمرد عليها .

علينا إذا أردنا التوجيه الصحيح أن نقصد جهد الإمكان في أوامرنا فنقصرها على الرديء ولا نتعرض (لموضاتهم) ونتعصب ضدها لمجرد أنها (موضات) لا تقول بها قيمنا الاجتماعية في جيل سابق .

عزيزي الصديق

عشت .. وعاشت لي سطحيتك فلاشيء ألذ من الغباوة التي تتمتع بها إلى جانب خفة روحك وسلامة نيتك .

لا ياصديقي .. لا تستعجل الحكم لصاحبك بهذه الميزات التى تتراءى أمامك في بعض ما يعامل به الناس .. كن حذراً ما استطعت قبل أن تحكم لي أو عليّ فالناس غاية لا تدرك .

نسيت أنه عبس وبسر يوم جاءته أم الصبايا ترجو نيله لمواصلة ابنها للدراسة .

ثق يا صاحبي أن الاخلاق العالية كثيراً ما تكون كياسة يفرضها الذكاء كضرورة من ضرورات النجاح .

ووعوده هذه التي تراها في أكثر المناسبات صادقة لا يكفي في شأنها أن تستغني بما رأيت منها فثمة غيرك مئات جربوا ألوانا من مينه وبهتانه .. فهل يغر بلك هذا لتتعلم العمق أم تعيش كما عشت بادي الرأي ، سعيداً بهذه الطيبة الحلوة التى حببتك إلى سائر من عرفوا غفلتك .

تعرف يا صديقي انني أو إياك كثير ما نصدق أو نفى لاننا لا نملك إلا أن نصدق ونفى .. ترى هل تسمى هذا صدقا نابعا من الطبع .

وهل تعرف انى أو إياك كثير ما نتحاشى السيئة ونترفع عنها لان بعض ملابساتنا أو ظروفنا الاجتماعية تفرض علينا سمتا خاصا .. ترى هل تسمى هذه فضائل أصيلة .

وهل تعرف انى أو إياك ربما طرقنا بعض دروب الحياة في نزاهة مطلقة ! ! لانه كان ينقصنا كثير من براعة غيرنا .. ترى هل تسمى هذه ميزة كريمة .

لا أريد أن أقول لك أن كل ما في الحياة بهتان ففى هذا فتئات على النبيين والصديقين والصالحين — وقليل ما هم .

أريد أن أقول لك : لا تستعجل الحكم قبل أن تتعمق .. ولا تتزعم الرأى في هذه الحياة أو تسلم به قبل أن تقلب الامور على سائر وجوهها .. وأن بيت إلا أن تعيش لسلامة نيتك — فهلم .

هلم يا صديقى .. وخذ سببك إلى أعلى جبل في صعيدك لتعيش مع أحلامك الناعسة وأوهامك اللذيذة .

لا تنس يا صديقي أن صاحبك يبدو شهما عالي المروءة في بعض مواقفه وينسى كل هذا في مواقف أخرى ... فهل تظنه كان فاضلا فيما بد من شهامته أو خسيسا في موقفه الآخر .

أبد .. فقد كان يخدم ذاته في الأولى كما يخدمها في الثانية .. أنه ذكي طويل المراس يعرف كيف يملك ناصيتك بمروءته إذا دعا داعيها .. كما يعرف كيف يؤيد ذاتيته بصلفه إذا قضت بذلك الضرورة .

تحسبني بعد هذا أريدك لتتنكر لما يبدو من احسانه أو تكفر به يوم يخطىء ظنك فيه .

لا فلست عليه بوكيل ، والحياة ذكاء .. حسبك أن تتولى نفسك فلا تنساق وراء كل بادرة فتحكم لها أو عليها فذلك شأن البدائيين .. تعمق وانس طيبة البله .. ولكن إلى قدر .. لئلا تفقد كل صد قاتك .

شبابنا في حقل التعليم

كتب الدكتور عبد الله مناع في جريدة « البلاد » ينعي عدم إقبال خريجي الجامعات على الوظائف التعليمية ويعلل ذلك بقلة المزايا التي يحظى بها الموظف كأستاذ في احدى مدارسنا وضخامة العمل الذى لا يتكافأ مع المرتبات وامتداده إلى ساعات المساء وما يرهق هذه الساعات من أعمال التحضير والتصحيح .

إلى أن يقول « وقد نجم عن هذا أن وجدت الوزارة نفسها وبدافع الحاجة الملحة مضطرة إلى أن ترتبط بعقود مع مدرسين من خارج المملكة بشروط عالية في كثير من الأحيان .

ولم يقل الدكتور لنا صراحة .. هل يرى شبابنا مخطئاً وهو يتحاشى وظائف التدريس .. وان كان في تلميحه ما يدل على رأيه عندما يقول : « إن واقعية التفكير في يومنا هذا لم تعد تكتفي بأن تلوك المثاليات دون رحيق لها » .

وإذا كان لي ما أعلق به على ما ذهب إليه فإني أرى أن واقعية التفكير لا تلوك المثاليات دون رحيق لا من يومنا هذا فقط بل هي حقيقة الحياة من أول يوم خلقت فيه الحياة .

إنه خير من يعرف أن مناصب التدريس عاشت مزدهرة يوم كان المدرس يتألق في منصبه وكانت أكثر أعمال الدولة لا تداني منصبه ولا ينالها من شهد الرحيق ما يناله .

أنا — يادكتور — أحد الذين يرون أن الانسان هو الانسان .. وأنه عاش حياته على الارض ينظر إلى المثاليات على ضوء ما يحقق لنفسه منها إلا إذا صادفنا بعض النوادر وليس للنوادر حكم .

لعلك لا تدري انى زاولت وظيفة معلم قبل ثلاثين سنة ولا اكتمك اني كنت ضائقاً بها أنتظر فرصة الهرب حتى واتتني .. ولم أهرب وحدي فقد هرب قبلي وبعدي عشرات وعشرات لو اتسع المجال لسردت لك أسماءهم لتعرف انهم اكفأ مني بما لا يدع مجالا للشك وأن هروبهم كان خسارة لا تعد لها خسارة .

أنت تعرف أن أكثر وظائف التدريس لا في بلادنا وحدها بل في أكثر بلاد الشرق تعيش مغموطة خارج الهالة التي تتألق فيها المناصب المرموقة .. هذا عدا ضخامة العمل الذي قلت بحق أنه لا يتكافأ مع العطاء الذى يقدمه المرتب .

ومن غريب الصدف أنني في الوقت الذي كنت أقرأ فيه كلمتك الهادفة تقع في يدي مجلة الثقافة الدمشقية لاقرأ فيها

مقالا دبجه استاذ من معلمي المدارس وفيه يقول « التهذيب الروحي .. المستوى الفكري ملكك أيها المعلم .. وبيدك الوطن والمستقبل .. ولكن مهلاً .. دعني أضحك قليلا ومن حقي أن أضحك لأني من قافلة المعلمين .. إنها كلمات حلوة وصحيحة لمن كان بعيداً عن المهنة يمسك بيده منظاراً فيرى المعلم محاطاً بالاحترام .. يتكلم فيصمت الجميع .. يأمر فيطاع ، أما كيف يعيش ذلك المعلم (فشيء آخر) .

إلى أن يقول : كسل الولد يعود إليه ، وبلادته هو سببها .. هو المسئول عن العلاقة السيئة والرسوب .. وهو مسرح لتندر الطلبة ، هذا يقلده وذاك يدبر له مقلباً ، إلى أن يقول .. تمضي الأجيال ويصبح طفل اليوم حاكماً محترماً أو قائداً عظيماً أو تاجراً غنيا أو سفيراً مرموقاً والمعلم باق في بيته الصغير ! !

أرأيت – يادكتور – أي معاناة يلقاها المعلم في منصبه .

وبعد فهل تبحث عن الحل ؟؟

لقد نوهت به وأنت تذكر الشروط العالية التى يشترطها أصحاب العقود من المعلمين خارج المملكة والمرتب الذي يصل أحيانا إلى أضعاف مرتبات المعلمين الوطنين .

لندفع مثل هذا للمدرسين عندنا وننظر ماذا يفعلون ! !

تعبت أقدامه . . !

كتب إليّ أحدهم مرة يقول :

« إنني شاب كفيف البصر تقدمت إلى مكتب الضمان الاجتماعي بجده بتاريخ ١٥/١٠/٨٢ أطلب الحاقي بالمستحقين الذين يكفلهم مكتب الضمان بتعيين المساعدة لهم ولكني إلى تاريخ خطابي هذا (١٩/١/٨٥) لم اتلق إجابة على ما كتبت. لقد تعبت أقدامي وأنا اراجع المكتب في جده ولا جواب عندهم ، إلا أن معاملتي لا تزال في الرياض .. إني أرجو إليك عرض مأساتي للمسئولين في وزارة العمل لعلها تصادف قلوباً رحيمة فتبحث عن معاملتي التي ذهبت ادراج الرياح وتعثرت بين مكاتب الموظفين » .

إلى هنا تنتهي خلاصة الكتاب المطول الذي كتبه إليّ الشاب محمد سعيد الفائدي كفيف البصر ، ومنه يتبين أن معاملته مضى عليها أكثر من سنتين دون أن ينجز منها أو يتلقى عليها أي جواب . وهو ما نشكوه من مآسي الروتين إلى جانب قلة الأيدي العاملة في كثير من دوائرنا الرسمية .

على أنه لو كان لي رأي في مثل هذا الموضوع لطلبت إلى المختصين في وزارة العمل ألا يكتفوا بتعيين مساعدة شهرية لمثل هذا الشاب الكفيف فإن إنساناً مثله يتمتع بنشاط الشباب يستطيع أن يفيد نفسه وبلاده بعشرات الحرف التى تهيئها الدولة ليعمل فيها أمثاله من المكفوفين .

أرى أنه يجب أن تربأ به الدولة عن أن يمد يده لإحسانها ، فإحسانها يجب أن يكون وقفاً على الضعفاء الذين يعجزون عن مزاولة أي عمل يدر عليهم كسباً . أما كفيفو البصر الذين يتمتعون بحيوية الشباب فسبيلهم عند وزارة العمل أن تهيء لهم مدارس مهنية لا تتعارض مع أبصارهم المكفوفة ليتعلموا ويعملوا بأيديهم ما يقيم أودهم ويغنيهم عن الحاجة .

على كل حال نحن نعرف أن وزارة العمل جديدة في ميدانها لم يمض على تأسيسها الوقت الكافي لأداء مهامها كاملة في سائر المجالات وكل ما نتمناه لها أن تتسع أمامها الفرص لتتوسع مجالاتها لسائر الخدمات العامة .

وإذا كانت امكانياتها اليوم لا تزال محدودة فلا أقل من أن يتفضل كبار المسئولين فيها بمساعدة عاجز كهذا كفيف

البصر بالعمل على انجاز أوراقه التي مضى عليها أكثر من سنتين دون أن يجد عليها جواباً شافياً .

إن وزير العمل بما عرف من حدب على الضعفاء هو أفضل من يستطيع إغاثة هذا المحتاج بأي وسيلة يراها نافعة .

حذار أيها الأدباء . .

لا أدري لم أميل دائماً إلى تصديق من ينقل إليّ خبر أديب اختلط عليه عقله أو مسه لون من الجنون رغم أني كثير الشك في أكثر ما ينقل إليّ من أخبار الناس وأحوالهم وقد تعودت أن لا أقبلها إلا بعد تفحص وتدقيق ما يلابسها من قرائن ..

أما قصة جنون الأديب – أي أديب – فتغزو عقلي دون استئذان واحسبني لو تنبأ لي قارىء كف بأني سأختلط في أحد الأيام اختلاطاً يسلمني إلى الجنون لما تبادر لذهني أن أشك في نبوءته رغم أني تعودت أن أسخر في حياتي بكل محترفي قراءة الكف وحساب الطوالع .

لست أعني بهذا أني شعرت أو أشعر بأدنى خلل في عقلي .. لا .. فانا واثق بأني انمتع إلى اليوم بعقلية إن لم تكن ممتازة فهي موزونة إلى حد معقول ..

ولكن يثير إشفاقي لا على نفسي بل على أكثر الادباء، ومعذرة إلى أصحاب الرجاحة منهم .. أقول يثير اشفاقي على أكثرهم رهافة أحاسيسهم وسيولة عواطفهم وليس كالرهافة والسيولة ما يخل بالتوازن العقلي ويعبث بملكاته .

ولا يقتصر الأمر على هذا، فالملكات التي يتطرق إليها العبث لا تنفك قابلة للانطلاق وقد تمعن في انطلاقها حتى تعيش ويعيش صاحبها في ملكوت بعيد .. بعيد لاصلة له بملكوت الناس ..

فاذا عثرت بأديب ساهم .. يعيش على هامش الناس .. يختلط بمجالسهم وهو في نفس الوقت شارد عنها .. هائم في البعيد .. البعيد الذى لا يحده نطاق فاحمد الله على نعمة عقلك واسأله العافية لمن ترى .. ! !

وبعد .. أغريب بعد هذا أن نقرأ في جريدة (الجزيرة) ان شاعرنا الرقيق المرهف (حمد الحجى) اختل توازنه وعبثت سيولة عواطفه بملكاته العاقلة فانطلق يهيم في الملكوت البعيد .. عن ملكوت الناس .. ورآى صبية الشوارع في هيامه فرصة للعبث فانطلقوا يجرون خلفه ليطفئوا آخر ذبالة من شعلة كانت تتوقد في تلافيف رأسه .

ترى هل أنعي على الأطفال فعلهم فأحرمهم لذة العبث وأنا أعرف أنه لا يلذ للطفل شيء ما يلذ له أن يعبث في مثل هذه الفرص لينتقم وهو لا يشعر لطفولته من الأجسام الكبيرة التي عودته الخضوع لما تفرض ؟؟

أم أنعي على الكبار الذين تركوا أخاهم إلى اليوم لعبة يتقاذفها أطفال الشوارع دون أن يبادروا إلى انتشاله ؟؟

لقد قرأت آخر ما قرأت أن سمو أمير الرياض أعلن استعداده لقبول التبرعات توطئة للإنفاق على علاجه .. وأنا مع تقديري لهذه الأريحية أرى أن يساهم الأدباء وأنا منهم في قائمة التبرعات لعلهم يجدون في أحد الأيام من تسخو نفسه لمساعدتهم إذا قدر لأحدهم أن يختلط بتأثير هذا الشرود الذي لاينفك يقصيهم عن دنيا الناس ويتركهم يهيمون في البعيد .. البعيد !!

وإذا كان لي من تعليق بعد هذا فهو أن اسأل وزارة الصحة ما يمنعها أن تتفضل فتتبنى الأمر .. ما يمنعها أن تحيل شاعرنا إلي إحدى المصحات العالمية ليعالج فيها على نفقتها ..

صدّاحة الفجر ! !

في مؤتمر عقد في مدينة (سان ريو) درس موضوع الضوضاء وأثره على الإنسان.وقد مثل في هذا المؤتمر كثير من الدول منها سويسرا وبلجيكا وهولندا والدانمرك وايطاليا والسويد والولايات المتحدة الامريكية .

وقد وافق الاعضاء باجماع الآراء على أن مشكلة الأصوات العنيفة أصبحت من أخطر الأمور في الحياة المدنية الحاضرة .

وقرروا أن الضوضاء والجلبة ترفع من ضغط الدم وتزيد في خطورة أمراض القلب والشرايين والمعدة وتسبب الإنهيار العصبي وحدة المزاج والأرق والإضطراب وتضعف من حدة الذكاء وتؤثر على العقل فتصيبه بالهذيان وتعرضه للجنون .

وهى إلى ذلك تسير بالمرء حثيثاً نحو الصم بل إنها قد تقتله !

ولم يقتصر قرارهم على ضرورة علاج ما تحدثه أصوات القطارات والطيارات والسيارات من ضجيج وجلبة بل أضافوا

إلى ذلك أصوات العربات التي تجرها الخيل بل وحتى أصوات الأحذية الثقيلة التي يلبسها المارة وفي نعالها قطع حديدية .

فهل يسمع السائقون في بلادنا مبلغ الخطر الذي يتعرض له الناس بسبب هذه الأصوات العنيفة (صدّاحة الغجر) التي يطربون لها ويتبارون في شدتها كلما ولجت سياراتهم بين الشوارع .

وهل يعلمون أن السائقين في كل بلاد أوروبا لا يستبيحون لأنفسهم ضرب الأبواق مهما اشتد زحام الشوارع احتراماً للمارة والساكنين في حوافي الشوارع .

يقول سائق سيارتي ،وهو يبدو لي مصارع في قبيلته قبل أن يهبط مدينتنا لهذا فانا أخشى أن أطيل لحاجه – يقول هذا السائق إن المدن في أوروبا واسعة الشوارع فلا يجدون ما يضطرهم (لصدّاحة الغجر) وقد حاولته ليفهم أن شوارعهم على سعتها مزدحمة بالسيارات كأشد ما يكون الزحام وأن الفرامل تحت أقدامهم هي المسؤولة وحدها عن سلامة السير .

قلت هذا وأكثر منه فلم يفهم إلى أن بلغه أن رجال المرور تتعقب (صدّاحة الغجر) بنشاط وأقسمت له انى سأشهد ضده

عند أول بادرة، فما عتم المسكين أن تضاءل وخبا في عينه لهب الصراع المتوقد ورضي أن يعالج بعض الأسلاك فخفف الازعاج أو كاد .

ليت المسؤولين في قلم المرور يطبعون المواد التي قررها مؤتمر مكافحة الضوضاء في مدينة (سان ريو) ويجعلونها في صفحة الزجاج المواجهة لمقعد السائق بعد أن يقرأوها عشرات المرات على الأميين منهم ليظل ذكرى الأخطار عالقاً بأذهانهم كلما عنّ لأصابعهم أن تعبث بجهاز (صدّاحة الغجر) .

كسوة الكعبة . . وأوقافها

قال لي أحد الحجاج وهو ينظر إلى كسوة الكعبة الجديدة : (انني وأنا من رجال صناعة النسيج لا أكاد أصدق أن هذا العمل المتقن من صنع هذه البلاد) .

قلت : على رسلك .. فالحياة ماضية بنا في طريقها الجاد. . وأخشى أن تفتح عينيك بعد سنوات فاذا الأرض غير الأرض والامة غير الامة،وعند ذاك ستعرف مبلغ ما نستطيع تحقيقه كأمة جديدة على الحياة .. أما اليوم فان كنت في ريب مما تشهد فدونك سيارتي اتطوع بها لتنقلك إلى مصنع الكسوة على غير بعيد منا لترى بعينك مصدر صنعها ! !

فما ملك أن وضع يده في يدي ليشد عليها بحرارة..

الواقع أن فكرة صنع الكسوة في مكة فكرة تستحق تقدير الحكومة كما تستحق تقدير العاملين على إنتاجها بهذا الإتقان . وإذا صح ما صرح به بعض المختصين من أن المصنع سيتسع غداً لعدة صناعات لها علاقة بالنسيج فذلك ربح له قيمته في نهجنا الصناعي الذى ننويه لسنواتنا القادمة .

وتحفزني المناسبة لأن اسأل المعنيين في وزارة الحج والأوقاف هل دار بخلدهم أن يبحثوا عن أوقاف الكسوة التي كان ينفق من غلتها على صناعة الكسوة ومخصصات الغلال لفقراء الحرمين ؟

إني لأذكر أني كتبت قبل نحو عامين بحثاً طويلاً جئت فيه على اسماء القرى الموقوفة على أعمال الخير في الحرمين واوضحت مواقعها كما أشرت إلى بعض القرى التي تغيرت اسماؤها بمر السنين أو تحرفت قاعدتها إلى أصولها.وتوجهت يومها في بحثي إلى مديرية الأوقاف عندنا قبل تشكيل الوزارة اسألهم هل ثبتت لديهم اسماء هذه القرى ومواقعها فتلقيت من سعادة مديرها في ذلك الوقت فضيلة السيد أحمد العربى ما يفيدني بأن مديرية الاوقاف تحققت عن هذه الأسماء وعرفتها وهي في سبيل مطالبتها بها ..

ويهمني اليوم وقد مضى نحو سنتين على ما كتبت أن اسأل وزارة الحج والأوقاف عما إذا كانت سجلاتها لا تزال تحتفظ بأسماء هذه القرى وهل جد شيء في شأن المطالبة بحقوق الحرمين فيها ؟

ثم .. ما يمنعنا أن نطالب بإعادة القرى الموقوفة والإستفادة من غلتها لصالح صناديق الرعاية الاجتماعية في مكة والمدينة

وهي اليوم تعول فقراء المدينتين وتدفع لألوف العائلات الفقيرة مخصصات شهرية وأعتقد أن أحداً لايضن على هذا البلد بحقوقه الشرعية خصوصاً إذا عرف أن ثمة إدارة للشئون الاجتماعية تتولى رعاية المتسولين ومساعدة الفقراء .

إلى شبابنا الجامعي

— ١ —

أرى من الغريب جداً أن أقلام الرعيل الأول والثاني من أدبائنا لا تزال تصول بين أعمدة الصحف كما كانت تصول قبل ربع قرن ولكني لا أرى لشبابنا الجديد إلا بعض الأثر الذى لا يتكافأ مع هذا العدد الهائل الذى تهديه الينا الجامعات في مطلع عام .

لست اغمط هذا النفر العامل من شبابنا الجامعي والذى تصافحنا بحوثه الممتازة في كثير من صحفنا ولكني مع هذا لا أرى فيه ما يكفي .

ذلك لأن نسبة من نقرأ لهم من الكتاب الجامعيين المجيدين إذا قيس بالعدد الهائل من المتخرجين ظهر أننا ما فتئنا مظلومين لم نستوف حقوقنا عندهم ولم نربح إلى اليوم ما كنا نؤمل ربحه يوم أسلمناهم إلى الجامعات عبر البحار وبتنا نقاسي آباءً وأمهات مضض الفراق وآلامه .

لقد كان آباؤنا قبل اليوم يهيئون أبناءهم في سن الفتوة ليشاركوهم فيما يمتهنون ثم يضطلعون دونهم بكامل المسئولية ليتقاعد الأب هادئاً وفي ذلك لون من الخدمات العامة لا اشك فيه .. ولكننا اليوم بتنا محرومين كآباء من معونة شراكة ابنائنا ولذتها فاحتسبنا هذا براً بهم وخدمة لبلادنا .

لماذا نحتسب كل هذا ؟؟

أفي سبيل أن يربحوا الكراسي ويتصدروا المكاتب وينعموا ببسطة العيش في ظل رواتب محترمة ولا أكثر ؟؟

إنا إذا كنا قد فقدنا مساهمتهم فيما نحترف فهم تفقدهم بلادنا في سائر المجالات التي عاشت تنتظرهم من أجلها .

نريدهم ليبرزوا أمامنا في سائر الخدمات العامة .. نريدهم ليعالجوا قضايانا بروح الشاب الفاهم الذي أهلته ثقافته العالية لان يقود مجتمعاتنا إلى مسالك الحياة الصحيحة .

حضرت من أيام حفل زواج في بيت يضم بين أفراده أكثر من شاب من أصحاب الثقافات العالية فهالني أن يتنطع الحفل ليبدو في زينة من لا يكترث لتبذير أو سرف ولا يحسب حساباً لقيمة ما ينفق في ترهات تقليدية فعلمت أنها أفعال قادها عجائز البيت من عمات أو خالات أو جدات على رغم

ممانعة شباب البيت المثقف : فآسفت لهذا الدور القيادي الذي ظل الجيل من أمثالي مسيطراً عليه بأفكاره التقليدية دون أن يجرؤ الشباب الجديد على تحويله أو توجيهه أو صبغه بأي لون يترك أثره في حياتنا العامة .

إلى شبابنا الجامعي

— ٢ —

كنت قد تحدثت عن حفل الزواج الذي شهدت فيه الدور القيادي في متناول العجائز والذي عجز الشابات أن يتناولوه بتوجيهاتهم أو يطبعوه بأثر من ثقافتهم .

وجئت اليوم لأناقش المطمئنين لكراسيهم من شبابنا وشاباتنا .

وصدقوني إذا قلت انى أصافحهم بكلمتي وأنا واجف القلب ففي بعض ايديهم أقلام مرهفة وبين صفوفهم أفراس إذا اثيرت عقد الغبار رواقه القاتم وأظلم ما بين الافق إلى الأفق .. وتلك ميادين نشأت أكرهها وتعودت أن انفض ثيابي منها .

ولكن لاعليّ .. فان أصحاب الاقلام المرهفة ، والغبار المثار تعودنا جولاتهم في كثير من البحوث النافعة فبات نقاشي لا يعنيهم .. وانما هو يعنى المطمئنين إلى كراسيهم .. وهم قوم لا يتكلفون ما يرهق أقلامهم أو يتعبها .

إلى هؤلاء أريد أن أتوجه بكلمتي فقد أنفقنا الكثير والكثير جداً وجالدنا طويلاً وطويلاً جداً وباتت مجتمعاتنا تنتظر أن يعود الغائبون ليبثوا ثقافتهم ويوحوا إليهم بالكثير الذي يقضي على ترهاتهم التقليدية ويتولوا قيادهم إلى الطرق السليمة التي تنتهجها الأمم الحية إلى غاياتها في الحياة .

لقد طال هجوعنا واستكانت مجتمعاتنا بمرور الأجيال إلى تقاليد أورثتنا ألواناً من التخلف جمدنا عليها وبتنا نستلهمها في كثير من مقدرات حياتنا .

فاذا استبشرنا اليوم بهذه اليقظة الجديدة التي بدأ التعليم يبني أساساتها ويهدينا نحو الجديد لتدعيم ركائزنا فليس معنى هذا أن تنسى الركائز وظائفها في البناء الجديد وتعيش على الهامش هانئة بما ظفرت لنفسها من شهادات خولتها الحياة الناعمة .

إن أكثر اختصاصاتهم العالية لا نفقه من دقائقها إلا النذر وبلادنا في أشد الحاجة إلى توعية عامة تتفتق لها الأذهان لتستجيب لما تفهمه من معانيها وتستطيع أن تساير القافلة في حدث خطواتها .

يجب أن نقرأ لكل صاحب اختصاص من شبابنا فيضاً من البحوث في سلسلة متصلة الحلقات فهم قبلنا مسؤولون عن التوعية العامة .

يجب أن تكون لهم نواد عامة تفتح أبوابها لكل متعطش يتمنى أن يستمع إلى آخر ما أحدثه العلم من أفكار معزز بالخرائط التوضيحية أو شاشة الفانوس السحري .

يجب أن يعتمد الشاب الجامعي نفسه مندوباً ثقافياً في عائلته وأهله وسكان حيه من الجيران ليترك طابعه في أذواقهم ويهيئهم لفهم الحياة على غير النحو الذي عاشوا يألفونه .

لا نريد قشوراً لامعة مما شاع لونه بين بعض الشباب الصفيق في أوروبا وأمريكا فوقتنا أضيق من أن يتسع لمثل هذه هذه السماجة ، وحاجتنا أشد إلى أن نتأسى بالبناة الذين أقاموا الصروح وشيدوا الأمجاد :

لعلهم يعلنون عن أوقات الهدم !

يسألني وفي محياه يلوح معنى القلق : « هل تراهم سيهدمون الدكاكين التي نسكنها ؟ » .

قلت وأي دكاكين تعني ؟

قال : أعني الدكاكين القائمة على حافة الميدان الكبير

واستطرد : كان المعروف أن الهدميات في العام الماضي استوفت مساحتها المطلوبة للميدان . وكنت شخصياً أسكن من سنوات دكاناً في الشامية أدركه الهدم فآليت أن لا أنتقل إلى دكان جديد إلا إذا استقر عندي أنه بعيد عن الهدم .. ولهذا انتظرت حتى تم هدم المساحة المطلوبة للميدان أمام باب أجياد فاستخرت الله وسكنت أحد الدكاكين القائمة على حافته وأنا مطمئن لما انتهى إليه استقراري .

ولكن ما كدت أقضي بضعة شهور حتى شاهدت بعض المهندسين يقيسون عرض الأرض التى تقوم عليها الدكاكين بجواري فرحت اسألهم هل تقرر هنا هدم جديد فما زاد كبيرهم على أن ضحك ثم ولاني ظهره .

وسألت بعــده أكثر من واحد كانوا يترددون على استئناف ما يقيسون فلم أجد عند أحدهم إلا كلمة : لا أدري .

وتفضل واحد منهم فقال : يا صاحبي نحن مأمورون بضبط مقاسات مطلوبة ولكننا لا نعرف ماذا يراد بها

وما انتهى الحائر في أمر دكانه عند هذا حتى تجلت أمارات الارتباك والقلق في محياه بصورة أوضح وهو يقول: والآن وقد اهلت السنة الجديدة فإن مالك الدكان يطالبني أن أدفع إليه أجرة الدكان أو أتخلى عنه ليوجهه إلى غيري .

وقد حاولته لينتظر أياماً عسى أن يتكشف الأمر بإعلان في جريدة أو خبر موثوق يذاع ولكنه يأبى إلا أن أدفع أو أتحول عن ملكه .

قلت وما يمنعك أن تدفع..حتى إذا صح موضوع الهدم باتت حقوقك مضمونة تستطيع أن تستوفيها بطريق مشروع ؟

قال يمنعني من هذا أمران : أولهما موضوع بضاعتي فهي موسمية لا رواج لها إلا مدة الموسم فلو أشغلت الدكان لشهرين قبل الهدم تعين عليّ دفع أجرة الشهرين دون أية

فائدة أنالها من الدكان في غضون الشهرين.. فما بالك إذا طالت المدة إلى أكثر من هذا !

الأمر الثاني وهو الأهم أنني استطعت بعد جهد بالغ أن أوفر ما يكفي لأجرة الدكان فإذا دفعته اليوم وأنا أعرف أن صاحب الملك لا يملك من الدكان إلا ما يوازي سدسه وانه سيوزع الباقي على ورثة مستحقين فمن أين لي أن أسترد ما دفعت .. إنني سأفقد حصيلتي وسأعجز عن استردادها إلا بعد لأي طويل أعيش اثناءها طريداً بلا دكان .

استمعت إليه وأنا أحس بأثر مأساته في جوانب نفسي أليمة ممضة .. ورأيتني أتساءل لماذا لا ينظم المسؤولون عن التوسعة برامجهم في وقت سابق عن اهلال العام حتى إذا أهل أعلنوها واضحة كما فعلوا في هدميات القبان .

إنهم دون شك يعرفون أن أكثر دكاكين وسط البلدة لا يستفيد أصحابها إلا من رواج الموسم فاذا دفعوا أجرتها وأشغلوها بعض شهور العام ثم اخلوها خسروا قيمة ما دفعوه لشهور لا يستفيدون منها .

اني أتمنى اليهم وهم على أبواب عام جديد أن يعلنوا عن سائر الجهات التي ينوون هدمها قبل أن تعقد أجورها فيتعرض المستأجرون والملاك لمشاكل لا يحتملون وطأتها .

ألا نعمل شيئاً .. من أجل الطوافه

نشرت في عام ١٣٧١ هـ عندما كانت شكاوى المطوفين لا حدود لها .

مما يلفت النظر في شؤون المطوفين أن الأغلبية الساحقة باتت تحس بفداحة ما تلاقي بسبب النظام العتيق الذي ورثته الطوافة من عهود كان يسود فيها الشقدف والجمل .. حتى المحافظين منهم وكانوا يقدسون ما ألفوا بدأوا يشعرون بعظم الهوة التي تتردى فيها مهنتهم بين عام وآخر .

وليس من شك في أن مشكلة المشاكل التي تعانيها المهنة في سنواتها الأخيرة هي موضوع السمسرة التي بدأت أول ما بدأت كشيء لا يعتد به في صورة هدية أو منحة ثم مالبثت أن تطورت عاما بعد آخر حتى تفاقم أمرها وأصبحت تستنزف جزءاً هاماً من موارد المطوفين كما أصبحت أمراً لازباً لا يقوم للمطوف شأن بدونها وأصبح الناس يشاهدون أقطاراً بكاملها تكاد أن تكون وقفاً على بعض المطوفين كنتيجة لسخاء أيديهم وحسن علاقتهم بالسماسرة . ومع ذلك فالأمر لا يزال قابلاً للتطوير وسينشأ في أعقـــابه بارعون يسبقون إلى بذل أكبر

ويحسنون ترضية السماسرة بشكل أفضل حتى يأتي البـــذل والفضل على باقي أرباح المطوف .

وأنا شخصياً لا ألوم المقدام على شجاعته أو براعته في الإتصال والبذل ما دام الميدان أمامه مباحاً لمن يثبت شجاعته وما دام الأمر متروكاً لقاعدة : (الجيدة تفوز براعيها) .

ليس من حقنا أن نلوم أحداً ما دام أمر السمسرة أصبح واضحاً وضوح الشمس ولم يبق للسمسار إلا أن يتقدم إلى المعنيين ليطالب بحقوقه رسمياً دون أن يغضب المعنيون أو يحاولوا تغيير شيء ..

ولو كان السمسار وطنياً من بلادنا لهان الأمر .. بل لما وجدنا مبرراً للشكوى فما فات على أحدنا دخل إلى جيب أخيه وهو على عمومه لم يتجاوزحدود بلادنا، ولكن الأمر أبعد من هذا..فنحن بما نبذل للاجنبى نبدد ثروتنا القومية ونقضي من حيث لا نشعر على جزء هام من اقتصاديات بلادنا .

وأغرب ما يروعك في الأمر أنه ما من عاقل يهمه أمر الطوافة من أصحاب العلاقة أو الاختصاص الرسمي إلا وقد وقر في نفسه مدى ما تعانيه الطوافة وما تنزلق فيه عاماً بعد آخر ومع هذا لم يتغير شيء .

ما أغنى البحوث التي كتبت في هذا وما أعظم الاجتماعات التي عقدت من أجله وما أطول الجلسات التي درست تفاصيله وما أكثر الاقتراحات التي تقدمت في سبيله ومع هذا لم يتغير شيء !

أعتقد أن في هذا ما يكفى لحفز همم المسؤولين عن مستقبل الطوافة كما أعتقد أن فيما عاناه المطوفون في موسمهم هذا ما يثير حماسهم ويدفعهم إلى العمل الجاد الحاسم .

رب ذكرى ... !!

لعل شبابنا الجديد لا يعرف الكثير عن الحيوية التي كنا نعيشها في عهد شبابنا قبلهم .

لم يكن بيننا صاحب شهادة عالية أو خريج جامعة ، ومع هذا فقد كنا نشعر أن بلادنا تخطو إلى شيء جديد وأنه يتعين علينا كشباب أن نبرز في إطار يصافح العيون المتطلعة إلينا .

كانت لنا اجتماعات شبه دورية لا نقضيها في لعب الورق وشرب الشاي فقط بل كنا نتداول اثناءها الكثير مما يفيد بلادنا .

لا أدعي أننا صنعنا كل ما يجب أن نضعه لبلادنا ولكنها على العموم كانت اجتماعات حيوية استطعنا في تضاعيفها أن نصدر كتاب (وحي الصحراء) كمجموعة تدل على أولى خطواتنا في الأدب الجديد .

وكان إلى جانبنا طائفة من الناشئة يحلو لها أن تترسم . خطـانا .. كان فيهـا الإخوان عبد الله عريف وهاشم الزواوي وحسين عرب وعبد الله بالخير وعلي فدعق وكثير من أمثالهم يتمتعون بما لا يقل عن خبرتنا.وكانت لهم اجتماعات

هي الأخرى شبه دورية يتبادلون فيها كثيراً من الآراء وربما تباروا على منبر الخطابة في نطاق تهيمن عليه نزعة الأدب الذي شاعت لوثته في ذلك العهد بشكل متطرف .

واستطاعت الطائفتان أن تثبت وجودهما في أكثر من فكرة .

فقد تراوى لنا جماعة الشباب أن نحتفل في منى في كل عام بكبار الحجاج فندعوهم باسم الشباب ونتبارى في الترحيب بهم ثم نترك لهم المنبر ليشنفونا بما نطرب لسماعه من خطبائهم. وكانت طائفة الناشئة تساعدنا في كل هذه الحركات ،كما كان أصحاب المعالى الشيخ عبد الله السليمان والشيخ محمد سرور يعضدانا مادياً في كل أعمالنا .ثم نسينا الفكرة بعد عدة سنوات وأخنى الزمان عليها .

وعندما أقبلت أول بعثة أتمت تدريبها على الطيران في إيطاليا قررنا نحن الشباب تكوين جمعية سميناها جمعية تشجيع الطيران تولت استقبال العائدين إلى جدة في ضجة قامت لها جدة وقعدت ثم أعلنا في الصحيفة التي كنا نملكها يومئذ وهي صوت الحجاز أعلنا استقبالاً أهلياً في جرول فضجت مكة للإستقبال ثم قدمنا إليهم السيارات المكشوفة لتنقلهم إلى داخل مكة بين الهتاف العالي بحياة الشباب .

ولم نكتف بهذا بل كونا لجاناً تطوف بالموسرين لتجمع تبرعاتهم لنشتري بقيمتها طائرة تقدم هدية باسم شباب مكة، فقد كان شباب مكة يومها من أبرز الشباب في المملكة إذا صح ما فهمت .

وأذكر بمناسبة العيد في الاسبوع الفائت أننا كنا بحثنا موضوع تقليد الحلوى التي تقدمها بيوتنا في أيام العيد واتفقنا يومها على قرار يقضي بالدعوة إلى الغاء تقديم الحلوى وأن نستعيض عنها بالتمر الفاخر تشجيعاً لإنتاج بلادنا فتولت أقلامنا حملة صارخة في سبيل الفكرة وشكلنا في ما بيننا لجنة استوردت التمر وعرضته للبيع فنجحت الحملة إلى حد لا بأس به وقدمت كثير من بيوتنا التمر بدل الحلوى في ذلك العام، ولكن ما لبثت الفكرة أن تضاءلت بعدها بمساعي بعض الشطار .

وطلعنا بفكرة (مشروع القرش) وتحمسنا له وتوزعنا العمل في سبيله وساعدنا عليه كثير من ناشئتنا فجمعنا مبالغ لا بأس بها في موسمه الأول، ولكن الفكرة ما لبثت أن تضاءلت العام الثانى ثم نسيت في العام الذي بعده. وأذكر أن ما جمع كان محجوزاً في شركة التوفير والاقتصاد التي لا نعرف ماذا تم في شأنها .

إنها ذكريات لعل من الخير أن يذكرها شبابنا الجديد المثقف على سبيل المقارنة كلما تهيأت له خطوة جديدة يخدم بها بلاده .

اربأ بنفسك .. !

يعجبك في بعض قبائلنا هذا التوثب الحركي في أسواقنا رغم فقرهم وشدة حاجتهم وقلة ما يتداولونه كرأسمال لأعمالهم .

فهذه قبائل حرب على مختلف فخوذها اختلطت بكثير من أعمالنا ونسيت حياة السبهللا التي كانت تعيشها في وديانها المقفرة بين لحاف الجبال وشعوبها كما نسيت الفروسية الضالة التي كانت تواجه بها الحجاج بين الدروب والمسالك .

نسيت كل هذا وهي تعمل اليوم في مجالي الحدادة والسباكة والكهرباء كما يعمل فريق منهم في الخطوط الحديدية بين الدمام والرياض.وهم إلى جانب هذا يزاحمون أهم أسواق المدن الكبيرة بما يتجولون به من بضائع عديدة الأصناف .

وهذه قبائل الحجاز وعسير لا يقل نشاطها الحركي عن نشاط قبائل حرب فقبيلة غامد تعلمت كيف تحترم كسبها الصغير وتنميه بشكل حاذق..فمنهم اليوم تجار يزاولون عشرات المهن في المدن الكبيرة ومنهم ملاك سيارات يسيرونها بين

قراهم ومختلف طرق المملكة من الأطراف إلى الاطراف ومنهم ملاك عقار وأصحاب مقـاه وبساتين وإذا أردت التجاوز ففي استطاعتك أن تقول مثل هذا أو ما يقرب منه عن أكثر القبائل في الحجاز وعسير وضواحي الطائف. ولا تنسى قبائل الشمال من جهينه إلى بلي إلى كثير من الفخوذ المجاورة فأكثرهم عمليون قل أن تجد من يحترف التسول أو يستعطي لقمة العيش .

ولكنك لا تجد هذا النشاط بارزاً في بعض قبائل الجنوب بين جده إلى الليث إلى القنفذة إلى حلي فثمت فخوذ لا أريد أن أسميها غفلت عن كثير من أبواب الكسب واستمرت المسكنة وذل الاستجداء .

اللهم إن هذا لا يرضيك، فشهامة العربي وشممه وإباؤه لا تزال تلوح فوق جباههم المتغضنة رغم جميع الطوارىء التى تعرضوا لها .

إن مما يحز في النفس ويؤلمها جد الإيلام أن بلادهم لا تكاد تأزم لأي عارض سماوي أو أرضي حتى يتسللوا إلى أقرب مدينة لهم أفواجاً تتلوها أفواج يتبعهم أطفالهم ونساؤهم يصافحون الناس في مسكنة ويمدون أيديهم لطلب الإحسان لا فرق عندهم بين شاب صحيح البنية أو فتاة قادرة على العمل في بيوت المدينة .

أسأل الله أن يغفر لي بقدر ما تعرضت لهم فهذا كبير العائلة يقف أمامي في بزته النظيفة ولحيته السوداء التي تشعرك بصباه تتبعه امرأة لا تقل عنه نشاطاً وصبية لا يتجاوزون المراهقة .. إنه يستجديني لعائلته التي هبطت من توها فيحتدم غيظي : « إنك يا صاحبي قادر على العمل .. وهذه الشابة صالحة للخدمة في بيوت الموسرين .. كما أن صبيتك تحتاجهم كل هذه الدكاكين والبيوت في أعمالها .. فما يمنعك أن تشمر وأن تبحث عما يليق بك وبهم من أعمال ... إن البلاد يا صاح في أشد الحاجة إلى الخدمات في البيوت والخادمين في سائر الأعمال،وأنت إذا اعجزتك الحيل لنفسك ففي استطاعتك العمل في عمران البيوت .. أنت ترى هؤلاء اليمنيين جيرانكم يتزاحمون في الأعمال عندنا .. وترى نساء التكارنة يخدمن في أعمال الغسل والتنظيف في كثير من البيوت وهن مصونات فاربأ بنفسك عن الامتهان وتمرن على الكسب من العمل » .

أقول هذا وأكثر من هذا فلا يزيد عن أن يشيح عني بوجه يتصنع فيه ملامح الألم ليقول لي إننا .. مرضى .

مرضى !.. هذه هي الكلمة التي حذقوها وهي منتهى ما عرفوه من حيل الحياة على الارتزاق .

أتمنى إلى وزارة العمل أن تعير هذه القبائل لفتة خاصة تنقذهم بها من الجهل الذي يغمرهم فتفرض عليهم العمل وترشدهم إلى الوسائل العملية التي تصون شمم عروبتهم من ذل المسكنة .

لم لا نصدر صحفنا ؟!

فكرة تصدير الإنتاج ، أي انتاج إلى خارج الحدود ، موضوع له قيمته بين المهام التى ترتكز عليها سمعة الدولة كما أن له في موازنتها بنداً سخياً لتعويض الفرق بين تكاليف السلعة وسعرها في السوق التى تصدر إليه .

أنت تشتري الكبريت مثلاً في أى بلد يصدر الكبريت بسعر خاص فاذا انتقلت إلى بلد آخر يستورد نفس الكبريت من نفس البلد استطعت أن تشتريه بنصف قيمته تقريباً فتتساءل أهي بلاهة المستوردين ؟ أم جنون أصيبت به دور التصدير ؟

الواقع .. إنه ليس ثمة بلاهة ولا جنون ولكنها السياسة الاقتصادية اقتضاها التخطيط الحاذق واحال إلى ميزانية الدولة عبء الفرق بين تكاليف السلعة وسعر البيع عند التصدير .

ليس الأمر أمر الكبريت وحده فان جل السلع التي تواجهنا في جل المتاجر والمعارض تباع في أسواقنا كموردين بأقل مما تباع في أسواق من صدرها إلا في بعض أنواع تكاد أن تكون محدودة .

ونحن كبلد جديد بدأ يستيقظ لفن التصنيع لا يجب أن يغرب عن بالنا أننا إذا كنا نحاول اليوم خطوتنا فيه نحو الإكتفاء الذاتي فسيحل عاجلاً أو آجلاً يوم نجد فيه أننا مغمورون ببعض الفائض الذي يتعين تصديره وعند ذلك لا يصح أن ننسى دور الميزانية العامة في إعانة التصدير .

ولقد شعرنا ابتداءً من اليوم أننا أمام انتاج فائض يتعين علينا تصديره .. هو إنتاج فكري يتلخص في هذه الصحف والمجلات والمؤلفات التي باتت تغمر الأسواق بفيض واسع .. دون أن نفكر في عمل ايجابي لتصديرها .

قد يقال إن بعض الوزارات ذات الاختصاص تساهم مساهمة فعالة باشتراكها في مئات الصحف لتتولى من جانبها تصديرها وتكليف بعض المختصين من موظفيها بتوزيعها مجاناً لمن يطلبها في أكثر البلاد العربية وبعض البلاد الاجنبية .

ولكن هذا لا يعد تصديراً في رأيي . ذلك لأن مفهوم التصدير يعني أن صحفنا يجب أن تغمر سائر الأسواق في سائر البلاد العربية .. يعني أن ينادي بها الباعة في يوم صدورها وتعرضها جميع المكتبات الكبيرة في واجهاتها إلى جانب جميع الصحف التي تتخطى الحدود إلى كبريات المدن في العالم العربي وبعض الخارجي .

أيقال أن صحفنا لا تستطيع أن تزاحم في تلك المجالات . ؟ أبداً فصحفنا إذا قيست بكثير من زميلاتها في البلاد العربية تستطيع أن تثبت جدارتها .. على أن الأمر ليس كله جدارة .. فإن الصحف الرائجة لا تروج لجدارتها بقدر ما تروج بحركة المد التي تتولاها .

إن بند الموازنة العامة لا يغفل حقوقها في التصدير فهو يتولى ترحيلها بالمجان في الطائرات السريعة لتقرأ في الساعات الأولى من صباح تصديرها وهو يبيح لأصحاب الصحف أن يسخوا فيما يبذلونه كعمولة لأصحاب المكتبات والباعة (السرِّيحة) كما يبيح لهم أن يبيعوها بأرخص مما تباع في بلادها ثم يتولى تعويض الفرق بين التكاليف وما يقتضيه البيع .

إن المسألة هنا ليست مسألة تصدير كبريت تهتم به الموازنة العامة على غرار ما تهتم به موازنات الحكومات في العالم .. بل هو أكثر من هذا وأبعد أثراً .

إن صوتنا يجب أن يبلغ أسماع العالم وإن موقفنا من السياسة العامة والأحداث الخطيرة يجب أن يكون مبذولا للقراء بين سائر طبقات الشعوب والأمم التي يعنينا أمرها .

ولا يتهيأ هذا ما لم تتحمل الموازنة العامة عبئه وتعمل على توفير جميع الإمكانيات التي تساعد عليه .

لكل حاج بطاقته !

كتب إليّ (م . ط) من الخرطوم يسألني قائلاً :

لماذا تعود النـــاس في بلادكم أن لا يرشدوا الحجاج إلى ما يسألون عنه . ثم يقول : لقـــد ضاع منيّ الطريق إلى بيت مطوّفي أول يوم من وصولي فكنت أسأل المارة والباعة المتجولين وأصحاب الدكاكين أن يدلوني إلى طريق المطوف فلم أجد بينهم من يرشدني وهو عـــلى عكس ما نجده في بلادنا مثلاً .

صدقت يا سيدي الحاج وكنت أتمنى لو قرأت اسمك صريحاً فنحن في بلادنا وفي صحفنا تعودنا أن نتقبل الصراحة من رجل صريح لا يخفي اسمه وراء الرموز خصوصاً وهو في موقف شكوى .

أقول صدقت رغم ما غاب عليك من جوانب الموضوع .

لقد سألت المارة وسألت الباعة وسألت أصحاب الدكاكين عن بيت المطوف فلم يرشدك أحد .. ولكن هل أنبأك أحد أن كل كل هؤلاء الذين سألتهم كانوا من أصحاب البلد ؟

إننا يا سيدي بلد مضياف بشكل لا يتصوره أحد .. ولا أبالغ إذا قلت لك أن جل الباعة الذين تراهم يتجولون ليسوا إلا ضيوفاً مثلك من اليمن أو من حضرموت أو من الباكستان والهند، وأنت تراهم في أزيائهم فلا تستطيع أن تفرق بينهم وبين أهل البلد بحال ، وقد يكون بينهم سعوديون من باديتنا ولكنهم ضيوف لا يهبطون مكة إلا للارتزاق في بعض فترات العام .

وأصحاب الدكاكين يصح لك أن تتأكد من حقيقتهم فربما كان الجالس في الدكان ليس إلا خادماً .. والخدم عندنا ضيوف على الاطلاق فليس عندنا خدم إلا من الطارئين على البلاد من خارج حدودها أو النازحين إليها من باديتنا وكلهم مؤقتون لا يعرفون في الغالب سوى الشارع أو الشوارع التي يعملون فيها .

والمارة .. أخشى أن لا تعرف صاحب البلد من غيره ربما كان بينهم طارئون أو نازحون أو حجاج فالسمات كثيراً ما تختلط على مثلك وأنت جديد في هذا البلد .

ومع هذا فثق أنني لا أريد أن اعتذر لأهل هذا البلد على طول الخط فربما كان بين من سألتهم شخص أو أشخاص ينتمون إليه فلا يكونون معذورين ولكني أخشى في الوقت

نفسه أن يكون الأمر قد اختلط عليك لاختلاط السمات بين أهل البلد وضيوفها .

وإذا أردتني إلا أن أحقق موضع الخطأ في قصتك فالخاطىء الوحيد في رأيي هو مطوفك ! !

ذلك لأن الأوامر الخاصة عندنا تقضي على المطوفين أن يوزعوا على حجاجهم بطاقات صغيرة تحمل اسم المطوف وتعين مقر بيته في مكة وعرفات ومنى ، وبهذا لا يضل الحاج مهما أبعد في الضياع .

فهل كانت لديك بطاقة من هذا النوع ؟ أم أن مبعث الخطأ كان مصدره مطوفك ؟

إني أرجو إلى رؤساء المطوفين أن يتفضلوا فيعفوا الحجاج من مشاكل الضياع ويعفونا من حقهم في الإنتقاد فيتعقبوا المطوفين ليلتزموا بتوزيع البطاقات على الحجاج ولا يبيحوا للحاج أن يتحرك إلى أى وجهة دون أن تكون في جيبه بطاقة تحمل اسم المطوف والشارع وتعين الموقع تعييناً واضحاً .

أراضي منى . . .

موضوع الإقامة أيام منى يحتاج إلى الكثير من إعادة النظر . .

كان المعروف أن أراضي منى مناخاً لمن سبق، فكان الحجاج وكان المطوفون يتسابقون إلى حجز أماكن لإقامة خيامهم فيها فكانوا لذلك يعانون من الإرهاق ومعاناة السباق ما يعرضهم لكثير من المشاق وكان بعضهم يسرع إلى حجز الأراضى قبل موعدها بأسبوع وربما اندفع بأنانيته كإنسان إلى حجز قطعة تزيد عن ضعف كفايته .

لهذا رأت الحكومة أن تقضي على فوضى التنازع والسباق وما يكتنفهما من إرهاق وأنانية فأمرت بتشكيل لجنة لتوزيع الأراضي سنوياً على الحجاج والمطوفين بنسبة أعداد كل مطوف .

وكانت فكرة أفادت الموضوع إفادة تامة وقطعت دابر المنازعات والفوضى إلى سنوات طويلة ولكن الفكرة مالبثت أن جدّد عليها ما أساءاستعمالها . . فقد باتت بعض الهيئات الرسمية ممن لها علاقة أو شبه علاقة بالحج تطالب سنوياً بحجز قطعة

لموظفيها وأعمالها، وربما كان أكثر موظفيها لا علاقة لأعمالهم بالحج ولكنها فرصة يمكنهم أن يوسعوا بها على كل من يلوذ بهم من أقارب أو حجاج واتسعت أمثال هذه الطلبات على مر السنين بشكل غريب لا تعرف صحة علاقته بالحج حتى أصبح الامر أشبه ما يكون بالمجاملات .

وزاد الأمر اتساعا عندما أخذ كثير من الهيئات الأجنبية.. ضيوف أو بعثات طبية أو علمية أو غيرها مما لا يحصى عدد اسمائها تطالب بحظها من تقسيم الأراضي في منى ، وربما اقتضت المجاملة أن يوسع عليهم في التقسيم فكان من نتائج كل هذا أن عاد الضيق يكتنف الحجاج من جديد رغم أن بعض الهيئات المحظوظة لا تكتفي بما يقيم خيامها بل تهيء بين الخيام ميداناً واسع الارجاء .

والغريب في الأمر أن الحجاج من داخل المملكة لم يحسب لهم في هذا أى حساب ، فربما انتهى أحـــدهم بأهله وعائلته إلى منى فلا يجد مكاناً لخيمته، ومن المحال أن يقبل أحد المطوفين دخولهم إلى نصيبه من قطعة الأرض إلا إذا دعته مجاملة خاصة أو أغرته بعض الفائدة .

من أجل هذا أرى أن الأمر أصبح في أشد الحاجة إلى إعادة النظر في نظام التوزيع ومن رأيي أن لا نتوسع في

مجاملات بعض الدوائر الحكومية أو حجاج الهيئات الأجنبية.. ومن رأيي أن نقتصد فلا نمنح الأراضي إلا لأصحاب العلاقات الماسة بالحج مساساً مباشراً ولا نعطي إلا في حيز محدود ضيق لتتوفر باقي الأراضي لأجناس الحجاج الذين يتكاثر عددهم كلما مرت السنوات .

أيتقاتلان للمبادىء ؟؟

كم من مرة وجدتني أسائل نفسي هل تحضر العالم بعد هذه المسيرة الطويلة التي أدمت قدميه في فدافد الحياة وبعد هذه التجارب المريرة لازمت تاريخه فوق الأرض من أول يوم خلقت فيه الأرض ؟

لقد كان ينازل خصمه بالحجر أو بالحديد في وحشية بالغة لأن ذهنيته لضيقة لا تتسع لفهم خصمه ولأن خلافه مع الخصم لم يكن خلاف رأي بقدر ما هو خلاف للاستئثار بالغنيمة يطعم جوعته بها أو المرأة يطفىء لوعته عندها على نحو ما ألفت الوحوش في غاباتها .

كل ذلك كان مقبولا يوم كانت الطبائع جلفة لم تهذبها الحياة أو تصقل مواهبها .

والجلف لا يبالي في سبيل انتصاره أن يدوس في شخصك كل مكرمات الحياة لأنه لا يخاصمك إذا خاصمك خلافاً على رأي بل بدافع من حقد طاغ وشهوة عارمة وأعصاب تتوتر في غير منطق .

ولكن هذا الإنسان الذى ساير مئات الحضارات عبر التاريخ وشذبت طباعه ملايين الأحداث واستطاع أن يسمو بمدنيته فوق كل ما عرف من مدنيات فوق الأرض .. هذا الانسان الذي تحدثك ثقافته العلمية عن أرقي النظريات الأخلاقية ما باله يسلك في معاملة مخالفيه أرخص المعاملات السلوكية وأدناها إلى أعمال وحش الغاب .

ما باله لا يبالي أن يقضي على خصمه بأفتك آلات الدمار وأكثرها هولاً وأشدها فناءً .

أيقال إن بين المتخاصمين خلافاً على مذهب اجتهد فيه الرأي فآمن به أصحابه ؟

أخشى أن يكون خلافاً على حب البقاء .. خلافاً على شهوة السيطرة فكان لابد له أن يصطدم ببقاء آخر لا يقل عنه شهوة وحباً في السيطرة .

ما يمنع الناس أن يختلفوا على المبادىء الفكرية دون أن يبالغ كل مخالف في تقدير ما انتهت إليه فلسفته الخاصة إذا كان مخلصاً بحق لمبدئه لا لشخصه .

ترى هل كان المذهب يعنيهم بقدر ما تعنيهم أنفسهم ؟ إنهم يشعرون بالخطر يداهم نفوذهم من أدنى الأرض إلى أدناها فما بالهم لا يتواثبون !

أيقال بعد هذا إنهما يتخاصمان على المبادىء؟.. لقد عاشت المبادىء مظلومة في كل أدوار التاريخ .. وعاش البشر يتنازعون تحت رايتها بهتاناً وإفكاً وهم في واقعهم لا يتنازعون إلا لأنفسهم في غوغائية كاذبة .. وسيظلون على أمرهم ما عاش الإفك والبهتان حتى يرموا بثقلهم على مركز الأرض فتخسف بكل ما على سطحها من بشر .

من أساليبنا في المناقصات

في حديث عن العمران قال أحدهم : إن عمارة (كذا) أطبقت سقوفها عليها فهدمتها بعد أن انتهى العمل منها وقبل أن تتسلمها الوزارة من مقاولها . وقد ذكر أن أساسها كان أضعف من أن يتحمل ما بني عليه من طبقات .

وفي رأيي أن العبرة في الأمر ليس موضوع العمارة بذاتها ، فتلك مسألة ستتناولها الرسميات بالتحقيق وسيفصل في شأن مقاولها بما يقتضيه الحال ..

ولكن في الأمر شيئاً أبعد من هذا يصح أن يعطينا فكرة خاصة عما تعانيه منشآت الحكومة ومقاولاتها ومناقصاتها .

إن كثيراً من المقاولين والمناقصين يتميزون بجرأة بالغة لا تقدر خطر المسؤولية ..

مثل هؤلاء ربما تقدموا إلى العمل الحكومي بعطاءات لا تغطي سعر التكلفة ، إما لجهل بدقائق التقدير أو اعتماداً على الثقة ببراعتهم في فن الاحتيال حتى إذا تجلت لهم الدقائق بعد لأي أو خانتهم براعة الاحتيال أسقط في أيديهم وانحدروا إلى مهاوي ربما قضت عليهم قضاءً نهائياً .

ولو اقتصر الأمر على ما ينالون لقيل إنه بما كسبت أيديهم، ولكن النتائج السيئة كثيرا ما تتجاوزهم إلى غيرهم فتمنعهم البلوى .

إن عطاءاتهم التي لا تغطي سعر التكلفة لجلهم أو لاعتمادهم على فن الحيلة .. هذه العطاءات ظلت عاملاً قوياً من عوامل سد الأبواب في وجه كثير من أصحاب الأعمال.. فشلت سواعدهم وعطلت طاقاتهم بل وقضت على الأيدي العاملة عندهم .

ونحن نلاحظ أن من شروط المناقصات الحكومية رفض العطاء الذي لا يراه المختصون دون إبداء الأسباب، ونعرف أن المشرع أراد بذلك أن يقضي على العطاءات غير المعقولة إذا تقدم بها أشخاص غير معقولين ولكننا رغم هذا لا نزال نعاني من تفنن المناقصين عن جهل أو حيلة ما قضى على كثير من جهود العاملين في ميادين المناقصات حتى باتت عامة المناقصات تكاد أن تكون وقفاً على أناس دون آخرين .

إن الأمر في رأيي لا يصلح لأن تكون تفاصيله مدار بحث في الصحف .. ان أساليبنا في المناقصات تحتاج إلى إعادة نظر ولو تهيأ للمختصين أن يتعقبوا المترددين في مجالي المناقصات من أصحاب الأعمال في كل ميدان على حدة

فلربما استطاعوا أن يسمعوا الكثير من حيل المناقصين وهم لا يجهرون بها لأنهم يعجزون عن إثباتها لفرط ما تبلغ من دقائقها من أحكام .

وربما ظهر للمختصين في أعقاب ما يسمعون أن في استطاعتهم أن يعالجوا ما يمكن علاجه تأميناً للأعمال الرسمية في ميادين المناقصة ومحاولة لإشاعة الفائدة بين طبقات العاملين وتشغيل الأيدي في سائر الحقول وإسالة الأموال بشكل واسع بدلاً من ركودها في بعض الأحايين .

خدم الزرانيق

لقد قلت مرة إن وزارة الشؤون الإجتماعية بلغت من النجاح حداً لا بأس به عندما حاربت التسول في موسم هذا العام وساقت جميع محترفيه وأكثرهم من الحجاج إلى دار الرعاية رغم أنها بذلك كلفت خزينتنا إنفاقاً طائلاً في سبيل طعامهم وشرابهم وأكثرهم غير مواطنين .

وأريد أن أقول اليوم أن مقدري هذا النشاط لا يلبثون أن ينسوه عندما تطأ أقدامهم أرض عرفات أو منى .

فقد وجد المتسولون من عرفات ومنى مرتعاً خصباً أميناً من عيون الرقباء فتسللوا إلى خيام الحجاج وبين الأسواق في صور مزرية تعطي أسوأ الآراء عن حقيقة هذا البلد .

ولا يستطيع الحاج أن يتخيل أن ٩٠ ٪ من المتسولين الذين يشهدهم ليسوا إلا حجاجاً يتحملون مشاق الطريق لا في طلب الغفران بل في سبيل أن يملؤوا جيوبهم من صدقات الحجاج .

والصورة التي لا يبلغ مداها فظيع هي صورة أخواتنا نساء خدم الزرانيق ، فقد أصبحن بارعات في فن التسول ..

وأعمالهن لا تقتصر على موسم الحج ، بل نحن نعاني من سوئها طوال أشهر السنة .. وأقول بارعات لأن نشاط الشؤون الاجتماعية لا يكاد أن ينجح معهن ، فقد تعودن الإحساس بنشاط المراقبين عند أول حـــركة تبدو في الأسواق فيهرعن إلى جحورهن دون أن يتركن وراءهن أي أثر .

وهن لبراعتهن يعرفن أن نشاط الرقابة لا يمتد إلى زحام الموسم كثيراً وإذا أمتد فسوف يقصر عن عرفات ومنى .

لهذا شوهدن في عرفات ومنى أفواجا تعجز عن احصائها يتخللن خيام الحجاج ويتجمعن في طريقهن إلى جبل الرحمة في عرفات أو إلى رمي الجمار في منى .

هن يجلسن في أشكال وصور لا يبلغ مداها من الفظاعة شيء .. وربما هزجن بأناشيد تؤذي الآذان ويقذي منظرها العيون .

والغريب أنهن يهبطن إلينا بصحبة رجالهن وهم من أفضل الناس نشاطاً وصحة يزولون أعمال الحمل وسياقة العربات ويتركون نساءهم وفتياتهم ليملأن الأسواق متسولات .

يشاهدهن الحاج فيعجب لثراء هذا البلد الذي يترك نساءه يتسولن في هذه الصور الفظيعة وهو لا يعلم مبلغ

ما أنفقته الحكومة في بناء دار خاصة لرعاية أمثالهن ومبلغ ما تتكلفه في سبيل جمعهم والإنفاق على مأكلهم ومشربهم ، لا يعلم أنهن حجاج وأننا في سبيل أداء الواجب نحو بلادنا لا نضن عليهن ونحن نعلم أنهن جئن للتسول لقصد الحج وأننا نعاني الكثير من أجل جمعهن في دار الرعاية والإنفاق على ما يحتجن من مأكل ومشرب أسوة بأمثالهن من فقراء البلاد .

إنها أمور تسيء إلى سمعتنا من حيث لا يعلم الحاج مبلغ ما نبذله في سبيلها .. فليتنا نعيد النظر في مضاعفة الجهد فلا مستحيل مع الجهد .. ولا ينجنا من عبثهن في رأيي إلا أن نلزم رجالهن بتعهدات صارمة قاطعة بأن لا يتركوهن يختلسن الفرص فيتسللن إلى الأسواق متسولات .

الى معالي وزير الصحة

لقد بذلت الحكومة في سبيل الاستشفاء عشرات الملايين وعنيت وزارة الصحة باستقدام الأطباء أفواجاً وأفواجاً وندبت من شبابنا عشرات وعشرات عاد إلينا أكثرهم يحملون شهاداتهم العالية ويحتسبون العمل لبلادهم في مجال الصحة العامة .

كل هذه الأفضال لا ننساها للحكومة ولا ننكره على وزارة الصحة ولا نغمطه لشبابنا العامل على رأسهم وزيرهم الكبير ولا نجحد للمستقدمين ما يبذلونه في سبيل المجال الصحي .

ولكن المشاهد أن كل هذه الجهود تحتاج إلى كثير من التوسع .. ذلك أن الوعي الصحي الذى تفتق في البلاد على أثر نهضتنا بات أوسع من أن يغطيه ما بذلنا إلى اليوم من جهود .. فلم يعد للوصفات البلدية شأن بين طبقاتنا ولم يعد لدجاجلة الطب ومجربي الحكمة في البادية والحاضرة أية قيمة بين ظهرانينا بعد أن تفتق وعينا .

فأنت تزور المستشفى أي مستشفى وليكن مستشفانا .. في أجياد فتلاحظ أن الزحام يبلغ مستواه العالي في غرف

الأطباء .. في صورة لا أعتقد أن الطبيب مهما بلغ شأوه أو إخلاصه يستطيع أن يحقق أمراض المراجعين أو يتثبت من سير عللهم .

والغريب في الأمر أن المراجعين لا يلبثون لفرط الزحام أن يقتحموا غرف الإدارة فيتزاحمون أمام مكتب مدير المستشفى وفي غرفة مندوب الوزارة فيشتغلان بأمراضهم تحت عامل الاضطرار رغم ما يتركه ذلك من أثر في مجرى أعمالهم .

وأنا عندما يسوقني الحديث إلى مستشفى أجياد لا أريد أن أعنيه وحده بما منى به من زحام، فالمعروف أن جميع مستشفياتنا حكومية كانت أو أهلية تعاني في سائر انحاء المملكة مثل الزحام الذى يعانيه مستشفى أجياد لا لقصور في استعداداتنا ولكنه كنتيجة لتفتق الوعي الصحي بين حواضرنا وبوادينا — ومع هذا فالأمر في مستشفى أجياد ربما اختلف بمناسبة أيام الموسم كثير الاختلاف عن جل مستشفياتنا في انحاء المملكة .

ذكر لي أحد المترددين على مستشفى أجياد لعلاج مستمر أن مراجعي المستشفى لا يقل عددهم اليومي عن ألفي مراجع رغم أننا لا نزال على أبواب الموسم . وقال : أرجو أن لا تنسى أن طرق الحج البري والبحري والجوي لا تزال

تستقبل الآلاف يومياً .. كما لا تنسى أن حجاج البر وأكثرهم من إخواننا الحجاج اليمنيين يصلون إلينا مرهقين مما نالهم من الضعف وأن حجاج الهند والباكستان يقاسون نفس الإرهاق لأن جلهم من الشيوخ المسنين .. كل هؤلاء يجب أن تستقبلهم مستشفيات مكة وفي مقدمتهم مستشفى أجياد لقربه من مواقع سكناهم بجوار المسجد .

وقال : إذا علمت هذا وعلمت أن اطباء مستشفى أجياد لا يزيد عددهم عن قدر محدود عرفت معنى الزحام الذي أصف لك شدته على أبواب الاطباء .

واستند صاحبي على جناح سيارته كمن يستريح من وجيف قلبه ثم استأنف : لقد قرأت في الصحف من أيام أن معالي وزير الصحة يستعد للسفر إلى مكة ليشرف عن كثب على صحة الحجاج يصحبه نحو ٨٠ موظفاً وأن سعادة وكيل الوزارة سيعقبه بعد أيام في صحبة ٣٠ طبيباً، واصارحله القول أنى بعد أن قدرت لمعالى الوزير ووكيله هذه العناية تمنيت لو صحب الوزير أطباءه معه قبل موظفيه كما تمنيت لو كان عدد الأطباء بلغ الثمانين بدلا من عدد الموظفين .

ثم قال : إن الزحام يزحف إلى مكة في هذه الايام بشكل هائل، فلو تعجل الأطباء سفرهم قبل منتصف القعدة لاستطاعوا

مواجهة هذه الألوف المؤلفة بما يكفيهم .. وثمت شيء لا يجب أن تنساه فقد تعودنا في بعض السنين أن نستفيد من تجميع الأطباء في مكة قبل عرفات وفي أيام عرفات ومنى ثم يبدأ ترحيلهم إلى حيث أتوا . ولما كان المفهوم أن أيام الحج لا تنتهي بانتهاء أيام عرفات ومنى فاننا نتمنى إلى معالي الوزير أن لا يعجل في ترحيلهم قبل أن يخف الزحام في مكة والمدينة وجدة سيما وأن وعثاء التنقل بين عرفات ومنى كثيراً ما تترك عقابيل في أجسام الحجاج ومستواهم الصحي .

قال هذا ثم ودعني ليدلف إلى مكانه من السيارة وهو مهيب بي أن أكتب هذا لعل فيه ما يستحق عناية معالي الوزير ولفت نظره :

عوداً الى أرض القبان

سبق أن كتبت مقترحاً الإستفـــادة من دار أبي سفيـــان بعد هدمه، فأرضه الواسعة بما يتبعها من عشرات الدكاكين التى شملها الهدم بالتبعية ستكون صالحة لاقامة عـــدة شوارع يفرغ بعضها في بعض يتخللها أكثر من مائتى دكان يقوم عليها دار مكتبة الحرم التى تقرر انشاؤها في هذه المنطقة وفي استطاعتنا أن نهيء تحت الشوارع ممرات نجهزها بمتوضآت تتسع باتساع المنطقة، فالمنطقة بما يتصل بها من أحياء كثيرة في أشد الحاجة إلى متوضآت واسعة تستوعب الزحام الذى تزخر به تلك الاحياء .

قلت هذا وأنا أؤمل أن يجد الموضوع صدى يستحق دراسة المختصين سيما وأن المكتبة ستنتفع غداً بواردات الدكاكين إذا وقفنا غلاتها على شراء الكتب للمكتبة وهى غلال لا أشك مطلقا في أنها ستتيح للمكتبة توسعاً قليل النظير بالنسبة للواردات الكبيرة التي ستتكرر سنويا .

قلت هذا وكنت أظننى أوفيت الموضوع ولكننى تلقيت من أسبوع خطاباً من صديق يشغل منصباً هاماً في وزارة

الصحة يسألني فيه هل أعلم أن مقرر التعويض قدر للقبان وحده بمبلغ ٤ ملايين ريال وأن المبلغ سيدفع إلى وزارة الصحة ثم يقول : ومن رأيي أن نقترح على وزارة الصحة انفاق المبلغ في انشاء مستوصف واسع بجوار المكتبة يستطيع أن يستقبل المرضى في الأحياء المحيطة وهي أحياء كثيرة تتصل بهذه المنطقة وتخفف الضغط عن مستشفى أجياد .

والواقع أنني ما كنت أعرف أن المبلغ الخاص ببناء القبان سيدفع إلى وزارة الصحة وانه يبلغ ٤ ملايين ريال .

وفي رأيي إذا صح هذا فان وزارة الصحة تستطيع أن تستفيد من هذا المبلغ الكبير لمنفعة المنطقة فان القبان بعد هدمه ستحرم المنطقة من مستوصفه فاذا طالبت بحقها في بناء مستوصف جديد على جزء من القطعة فسيكون طلبها محلا للتقدير .

وأرض المنطقة أوسع من أن تضيق بذلك فمساحتها كبيرة تتسع لعدة بنايات شاهقة .

ولا يمنعنا هذا من بناء الشوارع التي اقترحتها والممرات من تحتها لتجهز بالمتوضآت التي ذكرتها ثم نشيد فوقها المكتبة إلى جانبها مستوصف وسيكون ثمت متسع بعد ذلك لبناء

مانشاء من مكاتب وشقق سكنية وغيرها مما يتسع له عرض المساحة وارتفاع طبقاتها إلى البعيد من أجواز الفضاء .

إن المنطقة لا يمكنها أن تستغني بحال عن مستوصف يستقبل سكان الأحياء المجاورة ،أما التعويض فقد بات مضموناً ومساحة الأرض تتسع لأوسع مما ذكرنا فمن الخير أن لا نفوت الفرصة .

اني أرجو للمرة الثانية إلى المعنيين أن يدرسوا الفكرة دراسة وافية لعلهم بذلك أن يصيبوا بسهم واحد أكثر من هدف .

إننا بهذا نساعد على حل أزمة الدكاكين ونتيح للمكتبة أرباحا تتوسع في شراء الكتب سنويا ونفيد المنطقة بما نجهز لها من متوضآت وما نهيء لها ببناء المستوصف كما نساعد على حل أزمة المساكن والمكاتب .

مسجـد هـذا ؟ ؟

أم « مسافرخانه »!

قال لى : إذا اجتزت باب الملك عبد العزيز مصعدا في الشارع أمامك هل تستطيع أن تمد رجليك إلى الباب الذي يسامت الطبقة العليا من المسجد لترى في أروقته الطويلة أعجب الخانات المكتظة بسكانها .

قلت ولكني لاحظت في مروري من يومين أن البواب يمنع أي داخل يحمل أثاثاً إلى الباب الذي ذكرت .

قال ما عليك إلا أن تمد رجليك إذا كان هذا لا يعجزك.. وسترى بعينيك مبلغ الصدق فيما أدعي .

وهكذا دلجت حتى وقفت بالباب وأشهد أني شهدت البواب يمنع طائفة كبيرة من دخول الباب لأنهم مثقلون بأحمالهم من المتاع والأثاث حتى كدت أرتاب في صدقي الراوي .

ولكنى ما كدت أخطو إلى الرواق حتى فاجأني ما اذهلنى ! !

كانت أرض الرواق مكتظة بالمئات من الحجاج احتلت كل جماعة منهم قطعة واسعة فرشوا فيها وسائلهم وتجمعوا حول قدورهم و « دوافيرهم » .

رأيت بعضهم يجهز قدر اللحم و (دافوره) مشتعل إلى جانب هياكل من الخشب تركها النجارون . فقلت ألا تخشى أن يلتهب الخشب فلم يعرني لفتة . ومضيت إلى غيره فاذا (الدافور) يشتعل تحت إبريق الشاى ، وإذا جماعة إلى جانبه يحتسون الشاى ، وآخرون مدوا سماطهم وشرعوا يأكلون وإلى جانبهم رجل يدخن لفافته في لذاذة واطمئنان .

كان منظر الرواق على مد البصر يزدحم بالمتكتلين حول أمتعتهم وأثاثهم وأواني طبخهم في صورة تعيد إليك ذكرى (خانات) المسافرين التي كان الرحالون القدامى يذكرونها في كتبهم .

وعجبت للأمر كيف تهيأ لكل هؤلاء أن يقتحموا المسجد بكل هذه الامتعة ويتوسدوا أرضه بهذا الشكل رغم صرامة البواب التي شهدتها .

ولم يطل عجبي كثيراً لأني ما كدت اتقدم خطوات في الرواق حتى واجهني فوج يتسلل من أحد أطراف الرواق

يئن تحت أحماله من المتاع و نظرت فاذا ممر يصعد من باب الصفا وإذا الممر آمن (لا يراقبه حارس ولا بواب) .

وهكذا امتلأت الأروقة في أعلى المسجد بفضل الأبواب الخلفية وربما اعتقد المسؤولون في قرارة نفوسهم أنهم لم يهملوا ما داموا قد شددوا الرقابة على أبواب الواجهة ودعموها بحراس صارمين .

وبعد فما قيمة هذه الملايين التي انفقناها لحساب الطبقة العليا من المسجد .

لا أعتقد أنه كان يدور بخلدنا أننا نعد بما ننفق (مسافر خانة) !! يتخذها فقراء الحجاج سكناً ومأوى لأثاثهم وامتعتهم وأوساخهم حتى إذا ضاق المسجد وعن لبعض المصلين أن يتوسعوا فسوف لا يجدون مصلى نظيفاً يؤدون فيه فريضتهم .

لا أريد أن أقول أكثر من هذا .. وعيون المسؤولين عنه كلها نظر !!

لنبن من جديد

قلت في كلمة سابقة إن بلادنا بدأت تتفتق عن مجالات صالحة للعمل وأننا بما نهيء في المدارس الصناعية وعشرات غيرها من مرافق العمل سنكفل على مدى الأيام للمواطنين مجالات تستوعب أيدينا العاملة وشبابنا المثقف بشكل واسع لا نحلم به.أريد أن أقول هذا ليستيقن الذين ضاقت مواردهم عما ألفوه في مواسم الحج قبل سنوات طويلة فهيأوا أنفسهم وجيلهم الجديد للعمل الجاد في المجالات التي لا يتوقف عملها على المواسم ..

لقد عشنا مئات السنين لا نكاد نجد مرتزقاً — والعبرة بالأعم — إلا في مواسم الحج وكانت مواردها يومذاك تفيض حتى تغطي نفقات الأهلين من الموسم إلى الموسم .. وذلك لأن الحاج كان يلذ له أكثر ما يلذ أن ينفق عن سعة وأن يسخو بأكثر مما يتعين عليه دفعه .. وكان يشعر أن جيبه لا يضيق عن البذل الواسع ..

أما اليوم وقد تبدلت ، لا أقول أحوال الحاج فقط ، بل أحوال العالم بأسره ، فان الوافدين إلينا أصبحوا يألمون من قلة ما في جيوبهم .. فهم إما أصحاب نقد خفضت أسعاره

في أسواق العالم أو محكومون لنظام لا يبيحهم إلا كماً محدوداً أو فقراء بطبعهم جهلوا مشروعية الحج فتسابقوا إليه ليتسولوا أو يعرضوا عزة المؤمن لذل الحاجة فلا تأويهم غير الشوارع والطرقات .. وتهالك الفقراء والمحتاجين وغير المكلفين شرعاً بالحج ليست إلا بدعة كانت بلادنا لا تعرفها إلا في النذر القليل .

فإذا شعر مواطنونا اليوم بضآلة المواسم رغم تدفق الالوف بهذه الكثرة الكاثرة وأدركوا أن مواردهم منها باتت لا تتكافأ مع ما ألفوه في حياتهم فذلك أرعى لأن يختطوا لمعاشهم سبيلاً جديداً على ضوء ماجد في بلادهم .

أرى أن ينسوا أهم علاقاتهم بمكاسب المواسم ويتركوها للعاجز والمحتاج ومن جاء على غرارهم ويتهيأوا من جديد لما بدأت تتفتق به بلادهم في شتى المجالات .

لقد اتسع التعلم في أيامنا بشكل غريب ، وكثرت المعاهد وتعددت فصول المهن وتقاطر المبعوثون إلى الخارج للتخصص في شتى الصناعات الكيمائية والهندسية والميكانيكيةوالجيولوجية وعشرات غيرها من أعمال التوظيف في دوائر الحكومة والشركات والبنوك وبدأت البيوت الصناعية تبني لمستقبلها

في كثير من المدن فمن الحرج أن نجمد على ما ألفنا من أعمال المواسم ونألم إذا تقلصت مكاسبها عما ألفناه فيها ..

ربما قيل إن نهضتنا العملية في خطواتها الأولى سوف لا تستوعب أيادينا العاملة على كثرتها .. وأنا لا أماري في هذا ولكنى أرى أن نتهيأ لما تتمخض عنه الأيام فندفع شبابنا إلى المجالات الجديدة لينشأ عليها ويصرف نظره عن أهم علاقاته بالمواسم .. تلك التى ورثها فيما ورث عن آبائه ..

إنني اتخيل بلا دنا غداً وقد أحيت الزراعة مواتها وروجت شبكة الطرق المعبدة سائر إنتاجها وقامت في أكنافها المصانع وتعددت الشركات العاملة فاتسعت المجالات للأيدي العاملة ، فما يمنعنا أن نتهيأ ؟؟ ما يمنعنا أن نبني من جديد ؟؟

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



تصـــدر عن
الجمعية العربية السعودية
للثقافة والفنون
إدارة الثقافة
هاتف : ٤٧٧٩٠٥٩
ص.ب ٣٦٥٩ - الرياض

مطابع الفرزدق التجارية
تلفون ٤٧٨٨٥١٠ المـــلـز
الريـاض
المملـــكة العربية السعوديـــة